لينسي ستيفنز

لو لم تسافر...



جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٢٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٧٨٦٤١٨



روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!

لو لم تسافر

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية

RYAN'S RETURN

١ ـ الغائب القريب

جلست ليف مطمئنة النفس لدى فراغها من تلوين احدى المزهريات الصينية المخصصة للبيع في سوق القطع الفنية. ورغم أنها كانت تفضل رسم اللوحات الزيتية الا ان توقيعها على طرف المزهريات الملونة كان يغمرها بإحساس ممتع من الرضى عن الذات.

استطاع نجاحها في مجال الفن ان يغير مجرى حياتها الى حد لا يمكن تصديقه. بدأ ذلك حين كانت تعمل في مخزن للهدايا التذكارية حيث اعجب صاحب المخزن بلوحة كانت قد احضرتها لوضعها ضمن اطار مذهب، فطلب منها تزويد مخزنه بلوحات مماثلة بيعت بأسعار مرتفعة للغاية. منذ ذلك الوقت، استطاعت ليف تأمين حياة رغيدة من بيع اللوحات والمزهريات وخاصة في مواسم السياحة.

نظفت أدوات الرسم ووضعتها في أماكنها المعهودة. ثم نظرت الى ساعتها وعجلت في أخذ حمام سريع. بعد وقت قصير، كانت ليف ترتدي مريولاً أزرق فوق ردائها الأبيض الانيق. كان طفلاها التوأمان على وشك الوصول كما ان جويل يمكن ان يطرق على الباب في اية لحظة. وبسرعة، قامت ليف بتحضير ثلاثة اطباق من الدجاج والسلطة وغطتها بعناية قبل وضعها في البراد. وفيما كانت تغسل يديها، انطلق صوت مرح من الباب الامامي:

ـ مرحباً يا ليف، لقد وصل حاضن الاطفال.

ـ ادخل يا جويل، أنا في المطبخ.

رحبت ليف بحاضن طفليها الذي هو سلفها في نفس الوقت وقالت:

ـ أرجو ان تكون سعيداً لتمضية فترة المساء مع التوأمين.

ـ انني انتظر ذلك بسرور، فأنت تعلمين أنهما ليسا مصدراً للازعاج على الاطلاق.

جويل دانيسون في التاسعة والعشرين من عمره وهو من اكثر العازبين شهرة في منطقة ايرلي بيتش. تألمت ليف كثيراً لعدم زواجه حتى الآن اذ كان رائعاً في عنايته بالأطفال، كما أنه من ألطف الرجال وأكثرهم حناناً.

لاحظت ليف علامات حزن على وجه زائرها فسألته وهي تناوله كوباً من الشاي الساخن:

ـ ما بك يا جويل؟

ـ لا شيء، لا تقلقي، ان الأمر يتعلق بما فعلته السيدة كرافن.

ـ السيدة كرافن العجوز؟ هل تقصد انها باعت أملاكها؟

ـ أجل! هذا ما أقصده تماماً.

وعادت ليف تسأله:

ـ هل تعلم من الذي اشتراها؟

ـ هنا يكمن السرّ اذ لا أحد يعلم. لقد بذل والدي جهده كي

يعرف لكن دون جدوى. اعتقد شخصياً ان الشاري غريب عن المنطقة وهو يهدف الى بناء ملهى على التلة المشرفة على المرفأ.

ـ لا يا جويل! لن يفعل هذا.

ـ ذلك ما يتمناه والدي أيضاً، فأنت تعرفين رأيه حول ضرورة بقاء المنطقة على طبيعتها قدر المستطاع.

مضت دقائق قليلة قبل ان يستأنف جويل حديثه سائلاً:

ـ متى يصل التوأمان؟

نظرت ليف الى ساعة المطبخ واجابت:

ـ انهما على وشك الوصول فالساعة تقرب من الخامسة.

هز جويل رأسه وقال:

ـ سأكون محظوظاً اذا كانا تعبين من الجري طيلة النهار. في المرة الماضية، سبّبا لي ارهاقاً شديداً وهما يلعبان كرة القدم حتى حلول الظلام.

علقت ليف ضاحكة:

ـ ينبغي ان تكون أكثر حزماً يا جويل، فأنت في غاية اللطف معهما.

ـ حسناً! من يود لعب دور الغول بدلاً من دور العم؟ في الحقيقة انهما طفلان مدهشان.

ـ شكراً لك، اعلم ان هذا التحيز مصدره محبّتك لهما. على أية حال، لقد وصل الصغيران.

اتجهت ليف الى الباب في الوقت المناسب لتستقبل التوأمين وهما يصعدان درجات السلم.

ـ مرحباً يا ماما، ماذا هناك للعشاء؟ انني أتضور جوعاً.

على هذا النحو خاطب لوك والدته قبل ان يلقي حقيبته بصخب على الطاولة الصغيرة. اما ميلي فقد كانت أكثر هدوءاً حين سألت:

ـ هل وصل عمي جو؟

ـ انه في المطبخ، اذهبي وتحدثي معه ريثما أبدل ملابسي.

وضعت ليف بعض المسحوق على وجنتيها وكحلت عينيها وأضافت أحمر الشفاه الخفيف على شفتيها، وقامت بتسريح شعرها الطويل الذي كانت تنوي ربطه كالعادة لكنها تركته ينسدل على ظهرها بعفوية. كانت دائماً تفضله قصيراً الا انها في السنتين الأخيرتين تركته ينمو بحرية، وهذا ما جعلها وهي التي شارفت على بلوغ عامها الخامس والعشرين تبدو جميلة بشكل غير اعتيادي.

كانت ليف تتأمل صدرها وخصرها الضيق عندما انبعث ضحك صاخب من المطبخ المجاور اثاره مزاح جويل مع التوأمين. فكرت ليف بانه لو كان لديها أخ فهذا لن يعني بالنسبة اليها اكثر مما يعنيه لها جويل. فهي لم تكن تدري كيف ستتدبر أمورها من دونه. كان دائماً الى جانبها وقت الحاجة حتى حينما كانت تؤذي مشاعره وتخيب آماله، كما انه الوحيد الذي أثر في حياتها وحياة رايان.

رايان! اغمضت عينيها لتهرب من هذا الاسم. ما الذي اعاده الى ذاكرتها في تلك الليلة؟ فهي لم تفكر فيه منذ أعوام ولا تنوي التفكير فيه الآن. هكذا حدثت نفسها بحزم اذ ان مارتن سيأتي بعد قليل حيث سيذهبان لتناول طعام العشاء في الخارج، ثم يذهبان الى اجتماع الأهالي والمعلمين الذي سيعقد في مدرسة المنطقة.

- سنكون على خير ما يرام يا أمي.

حدثت ميلي والدتها وهي تلف ذراعيها حول خصرها وأضافت:

- آه! كم هي زكية رائحتك.

رفعت ليف الشعر المتدلي على جبين ابنتها وتطلعت الى عينيها الزرقاوين وشعرت على الفور بأنها تشبه والدها الى حد بعيد، لكنها تتميز عنه باللطف والنعومة اذ كان رايان صلباً للغاية. اما لوك فانه كان جميلاً مثل أخته، غير انه اكثر منها اندفاعاً ومرحاً. انهما مختلفان جداً لكنهما يحتلان نفس المكانة في قلب الأم الذي يقطر حباً لهما. فكرت ليف مئات المرات كيف ان شخصاً رخيصاً يمكن ان ينجب كائنين جميلين كطفليها.

قرع الجرس وهنا اشار جويل الى الباب قائلاً:
- انه مرافقك يا ليف.
- حسناً، لن اتأخر يا جويل.
- ابقي حتى الفجر ان شئت فمن حقك الاستمتاع بوقتك.
جلست ليف الى جانب مارتن في سيارته الجديدة. وبعد فترة صمت قصيرة، نظر الى وجه ليف الشاحب وقال:
- آمل ان يعجبك العشاء يا اوليفيا، فانا لم اجرب هذا المطعم من قبل.
- انا متأكدة انه سيعجبني لأنني سمعت عنه اخباراً مشجعة.
أجبرت ليف نفسها على التجاوب معه واستراحت حين وجدت الاهتمام يختفي من ملامحه، اذ ان استجوابه كان آخر ما تحتاجه الليلة.
كان مارتن استاذاً في المدرسة التي يتعلم فيها التوأمان. وهناك التقت به اثناء اجتماع مجلس الأهالي والمعلمين في السنة الماضية، حيث بدأت علاقتهما تنمو ببطء لأن احدهما لم يشعر بالاندفاع لتقوية العلاقة خصوصاً ليف التي لم تكن متأكدة من حاجتها الى اقامة علاقة جديدة مع أي كان. والحقيقة ان دعوة مارتن سببت لها بعض الارتباك اذ لم تتعود الخروج معه لأنه كان يفضل لقاءهما في المناسبات التي كانت تجمعهما معاً، الأمر الذي ناسبها تماماً. كان مارتن من النوع الذي يخطط لحياته بدقة متناهية، وعلى الرغم من قلة اناقته غير ان ثقته بنفسه ومزاجه المتزن جعلاه رفيقاً ملائماً ان لم يكن مثيراً.
مرت ساعة ونصف الساعة وهما يتناولان طعام العشاء كما مر بعض الوقت في المدرسة قبل عودتهما. كانت ليف ترغم نفسها على الانتباه الى حديث مارتن. وفيما كانت تنظر الى يديه اثناء قيادته للسيارة حول الخليج بأقصى سرعة، انتقلت بها الذاكرة الى ليلة كانت تمر بها على نفس الطريق. كانت آنذاك تجلس في سيارة جكوار الى جانب سائق يتمتع بيدين قويتين تمسكان المقود وتحطمان كل

قوانين الجاذبية.

تذكرت ليف وجه السائق بكل تفاصيله الدقيقة، تذكرت عينيه بزرقتهما العميقة وتذكرت شعره الذي كان يتدلى باستمرار ليضفي عليه مزيداً من السحر.

عادت ليف الى الواقع عندما سمعت مرافقها يذكر اسم ابنها فقالت:

ـ آسفة يا مارتن، ما الذي كنت تقوله؟

ـ سمعت ان لوك وقع في مأزق ثانية.

ـ لوك! لكنه لم يقل شيئاً. ما الذي فعله؟

ـ لست متأكداً من القصة كلها. ان الامر يتعلق بمشاجرة مع كوستيللو الصغير.

ـ آه! تلك المشاجرة.

تنهدت ليف بارتياح واضافت:

ـ لقد علمت بالأمر. في الحقيقة حاول لوك التدخل لوقف المشاجرة لكن الولد الآخر كان أكبر بكثير من كوستيللو الصغير.

ـ هل تعلمين يا اوليفيا ان الولد يحتاج الى أب حازم يرشده؟

ـ وهل تظن انني لا اعلم ذلك يا مارتن؟

وعاد اليها الارتباك ثانية لكنها اضافت:

ـ انني أحب ولديّ وأحاول تربيتهما تربية صالحة.

ـ آسف يا اوليفيا، لم اقصد انتقادك، بل انني اقدّر المشاكل التي تواجهينها.

توقف مارتن عن الكلام قليلاً ثم سأل:

ـ هل فكرت ذات مرة في الطلاق؟

ـ الطلاق!

نطقت ليف الكلمة وكأنها شاذة بالنسبة اليها، وأجابت بهمس:

ـ كلا.

ثم بصوت أعلى:

ـ كلا، لم أفكر فيه من قبل.
ـ وهل فكر فيه زوجك؟
ـ كلا.

ولسبب غامض شعرت ليف وكأن يداً باردة تقبض على قلبها ثم قالت بتكاسل:

ـ نحن لا نتراسل.
ـ ابداً؟
ـ أبداً.

خيم الصمت عليهما عندما وصلا الى الشاطىء القريب من منزل ليف. وهناك مرّا بسيارة كانت تقف على جانب الطريق حيث رأت ليف ضوء سيكارة وظنت ان في السيارة عاشقين، اذ سبق لها ان توقفت في المكان نفسه مع زوجها رايان.

ـ لم يسبق لي ان سألت، ما الذي حدث بينك وبين زوجك؟ لم تمكثا معاً فترة طويلة على ما أظن؟

رحبت ليف بمقاطعة مارتن لافكارها. فالماضي يتراقص في مخيلتها الليلة وكانت تشعر ان الماضي ما زال مؤلماً مثلما كان دائماً. كيف ستجيب على سؤال مارتن؟ وما الذي يمكنها قوله؟ لا شيء. لا شيء بينها وبين رايان. لا شيء. ببساطة لا شيء. كانت تشعر بالضحك الجنوني يتحرك في أعماقها.

تنهد مارتن قبل ان يقول:

ـ لست بحاجة الى التحدث عن هذا الامر ان كان يزعجك، اذ كنت اعتقد اننا صديقان حيمان.

أوقف مارتن سيارته أمام منزل ليف ثم التفت اليها قائلاً:

ـ أوليفيا. أريد التحدث اليك بأمر هام قبل ان نفترق. انني بحاجة الى زوجة تشاركني حياتي واعتقد اننا نستطيع العيش معا بسعادة.

أحست ليف بالذعر اذ لم تكن مهيأة لهذا النوع من الارتباط مع

مارتن او مع أي شخص آخر.
- مارتن، ارجوك، لم افكر ابداً في مثل هذا الموضوع، اعني...
- اعلم انني لم اختر الوقت المناسب للتحدث بهذا الشأن، ولا أريد الضغط عليك ولكنني أود ان تفكري فيه جيداً. هذا كل ما اطلب.

ورفع مارتن يد ليف الى صدره للحظة وأضاف:
- هل ستفكرين فيه؟
- حسناً يا مارتن.

كانت ليف ترغب في القيام بأي شيء لانهاء اللقاء فالافكار تتزاحم في رأسها لتشد اعصابها. حتى انها شعرت برغبة جامحة في الهرب من كل مكان، الهرب الى عالم لا تحتاج فيه الى اتخاذ القرارات.

خرج مارتن من سيارته ورافق ليف عبر ممر منزلها الذي كان النور يتوهج في داخله. وعلى المدخل الرئيسي كان جويل يستقبلهما قائلاً:
- مرحباً! هل امضيتما سهرة ممتعة؟ وصلتما في الوقت المناسب لتناول القهوة.
- نعم، شكراً، لقد أمضينا سهرة ممتعة.

أجاب مارتن بجفاف فيما كانت ليف تدخل الى القاعة حيث ألقت سترتها على الكرسي وسألت جويل:
- هل نام التوأمان؟ أرجو ان لا يكونا قد سببا لك الازعاج؟
- كانا رائعين وهما الآن نائمان كملاكين. لقد نامت ميلي بعد العشاء مباشرة. كان يومي حافلاً لذلك اشك في انني سأستطيع العمل غداً.

وبعدما احضر فنجانين من القهوة تابع حديثه قائلاً:
- لا تنسي الغداء في منزلنا غداً. طلب والدي مني ان اذكّرك بذلك. سآمر لمرافقتك عند الساعة السابعة كالعادة. هل انت موافقة؟

ـ حسناً يا جويل. اراك غداً.
مشى جويل مسرعاً نحو الباب وهو يقول:
ـ الى اللقاء يا مارتن.
نظر مارتن الى ليف وسألها بنبرة حادة:
ـ هل يبقى جويل برفقة الطفلين دائماً؟
ـ اجل. فأنا لا احتاج الى حاضنة في معظم الأوقات وهو يأتي عادة اذا لم اترك الطفلين مع ميك أو ماريا كوستيللو. لماذا؟
ـ آه! لا شيء.
تناول مارتن فنجان القهوة وتطلع الى السائل الأسود الموجود فيه وتساءل:
ـ كنت اعتقد انك قطعت علاقتك بآل دانيسون بعد غياب زوجك؟
وهنا أجابت ليف متضايقة:
ـ هذا لا يتعلق بجويل يا مارتن.
ـ انا لا أرمي الى شيء معين وانت تعلمين بالطبع ان جويل يبدو في منتهى اللطف.
ـ وهو كذلك. انه لطيف جداً ولو ان هناك الكثير من أمثاله لكان العالم أفضل.
ـ أظن ان دانيسون الأب يرغب في رؤية احفاده من وقت لآخر؟
وعندما لم تجب ليف على تساؤله انهى مارتن قهوته وقال:
ـ حان وقت العودة. شكراً لهذه السهرة يا اوليفيا.
ـ شكراً لك يا مارتن.
بدت كلماتها سطحية وباردة لكن مارتن لم يلاحظ ذلك اذ التفت نحوها وضمها اليه قائلاً:
ـ وداعاً، سأتصل بك فيما بعد. ستفكرين بالأمر، أليس كذلك؟
ـ حسناً، الى اللقاء.
وقفت ليف تتطلع الى ضوء سيارة مارتن يختفي تدريجياً. كانت

السيارة التي مرّا بجانبها لا تزال متوقفة في مكانها. ارتجفت قليلاً وأسرعت الى الداخل مقفلة الباب وراءها. وبعدما غطت أبنها لوك مشت الى غرفة نومها واطمأنت على ابنتها ميلي التي تشاركها غرفتها. بدلت ملابسها وجلست تمشط شعرها محاولة تهدئة خواطرها القلقة. لم تكن تشعر بالارتياح لأن المزاج الصاخب الذي انتابها قبل الخروج لا يزال يسيطر عليها. كانت تعلم ان النوم بعيد جداً عن متناولها لأن ذكريات الماضي تقلقها رغم اعتقادها بأن كل شيء انتهى بعد مضي ثماني سنوات. ما الذي أعاد ذكرى رايان هذه الليلة؟ أليس التفكير فيه خير برهان على أنه لا يزال حاضراً مثلما كان دائماً؟

ابتسمت ليف ساخرة من نفسها ثم خرجت الى الشرفة واخذت نفساً عميقاً من هواء البحر المنعش. كان منزلها لا يبعد كثيراً عن الشاطىء حيث تتلاعب الأمواج والرمال بلطف في ضوء القمر. كانت السماء كتلة من النجوم البراقة وكانت المنازل الواقعة الى يمين الخليج تبث أضواءً خافتة.

تنهدت ليف مستمتعة بهذا المنظر الجميل. كانت تحب هذا المكان. تحب هدوءه وأمانه وجمال مياهه ورماله. وعادت بأفكارها الى حديث جويل بشأن بيع ممتلكات كرافن. ان فكرة اقامة مركز سياحي فخم أو ملهى جمدت عروقها لأنها كانت ترغب في بقاء المنطقة على جمالها الطبيعي. ويشاركها في هذه الرغبة دانيسون الأب وكذلك والدها الذي يصر على ضرورة مناهضة أي خطط لانشاء الأبنية المرتفعة أو الفنادق السياحية الضخمة في المنطقة.

كان والدها تشارلز جانسن صياداً يفتخر بأصله المتواضع بقدر ما كان دانيسون الأب يفتخر بغناه. دانيسون الأب لا يملّ من إخبار كل انسان بأنه أسّس عمله من مركب صيد واحد الى ان أصبح لديه الآن أسطول كامل من المراكب، بالاضافة الى شبكة نقل واسعة. وبالطبع، كان يرغب في ان يصبح ابنه رايان جزءاً من امبراطوريته كي يتمكن من ادارتها حين يقرر التقاعد. لكن رغبة الأب لم تلق

استجابة كافية عند الأبن الذي كان يريد ان يحقق ذاته بشكل مختلف. وبالرغم من انه تخرج بدرجة امتياز في الهندسة من جامعة كوينزلاند، ودرس مختلف المواضيع المتعلقة بادارة الاعمال، الا انه كان يبدو دائماً وكأنه يبحث عن شيء مفقود.

شعرت ليف بأنها تقاوم عبثاً الأمر المحتم فالذكريات متسارعة في اعماقها. تذكرت أول لقاء لها مع رايان دانيسون. كان ذلك في أمسية صيف منذ تسع عشرة سنة حيث كانت تبلغ السادسة من العمر آنذاك. كانت تقود دراجتها الجديدة ذاهبة الى المدرسة وهي تشعر بأنها شابة وذات شأن. في تلك الأمسية كانت تمر عبر المنتزه نحو الشاطىء ومن ثم نحو بيتها. هناك هجم عليها أربعة صبيان من خلف السياج واخذوا يضايقونها بالركض حولها والاستهزاء بها. أصابها خوف شديد وبدأت الدموع تنهمر من عينيها. وفي اللحظة المناسبة تقدم فتى يقود دراجة واشتبك مع الصبية وما هي الا دقائق حتى فر الجميع وبقي الفتى ممزق القميص والدم ينهمر من وجهه. وعندما نظرت ليف اليه امتلكها احساس جارف بأنه الأمير الذي تحكي القصص الخرافية عنه. كان شديد الجاذبية حتى حين كان في الثانية عشرة من عمره.

تناول الفتى منديلاً نظيفاً من جيبه وقدمه اليها قائلاً:

ـ من الأفضل ان تجففي دموعك.

جففت ليف دموعها واعادت المنديل اليه قائلة:

ـ شكراً، أليس من الأفضل ان تمسح الدم عن انفك؟

مسح رايان أنفه بسرعة واعاد المنديل الى جيبه والتقط دراجته اللامعة والمزخرفة بشتى أنواع الأسلاك والصور.

ـ لا أعتقد ان هؤلاء البلهاء سيعودون ولكنني سأسير معك حتى الشاطىء. ما أسمك؟

ـ ليف. أوليفيا جانسن.

التقطت ليف دراجتها وقادتها الى جانبه وهي ترتجف.

ـ أنا رايان دانيسون. هل انت حديثة العهد في قيادة الدراجات؟

ـ نعم. فوالدي لم يسمح لي بقيادتها الا في الأسبوع الماضي بمناسبة عيد ميلادي. هل حصلت على دراجتك منذ زمن طويل؟

ـ منذ سنوات.

توقف رايان أمام بوابة المتنزه وقال لها مبتسماً:

ـ حسناً، الى اللقاء.

ـ شكراً.

ابتسمت ليف وعيناها تتبعانه اذ رأت فيه الأب والأخ والصديق الذي تبحث عنه.

ضحك رايان وقال بمرح:

ـ يمكنك ان تشكريني عندما تبلغين السادسة عشرة.

احمر وجه ليف بينما استمر رايان يضحك وتابع يقول:

ـ الى اللقاء بعد عشر سنوات يا اوليفيا جانسن.

كانت ليف تستمع الى والدها يتحدث عن الفتى الناضج ابن دانيسون. كان وجوده في الطريق أو على الشاطىء كافياً لاجتذابها وشعورها بحنين اليه لم تدرك له سبباً. ومع ذلك، لم تتحدث اليه حتى حفلة عيد ميلاد صديقتها قبل ثلاثة أشهر من عيد ميلادها السابع عشر... معظم اصدقائها كانوا هناك ولم تكن تدري ان الأخوين دانيسون من بين المدعوين. كانت الحفلة في أوجها حين وصل جويل ورايان. وقد رأتهما اثناء فترة الاستراحة. وبالأحرى، لم ترَ الا رايان، لا أحد سوى رايان.

كانت تعلم انها لن تنسى تلك اللحظات حيث انحبس نفسها وتسارعت دقات قلبها. انه أكثر أناقة من كل الرجال الذين صادفتهم وهو يملك كل شيء... كان طويلاً، أسمر اللون، ومن عائلة غنية ذائعة الصيت.

لم تكن وحدها التي تراه جذاباً، بل كل الفتيات الموجودات في الحفلة. كان يتنقل من مجموعة فتيات الى مجموعة أخرى. ومكثت

ليف جانباً تراقبه وتقارنه مع كل الشبان الموجودين هناك. واعترفت انه لا مجال للمقارنة. كان كل شيء بالنسبة اليها ولم يكن الباقون شيئاً.

وفيما كانت غارقة في افكارها، انتفضت حين جلس جويل دانيسون الى جانبها طالباً منها الرقص معه حيث قبلت تلقائياً. بعد فترة قصيرة، استطاع أسلوب جويل البسيط ازالة خجلها فوجدت نفسها تضحك وتمزح معه وكأنها تعرفه منذ سنوات. وكم تمنت لو أنها وقعت في حبه بدلاً من أخيه. غير ان جويل كان بالنسبة اليها، رغم لطفه وحنانه، نسخة باهتة عن أخيه الأكبر.

أمضت ساعة تقريباً وهي ترقص وتتحدث مع جويل الى ان لاحظ رايان وجودهما معاً. كانت القاعة تعبق بالدخان فخرجت مع جويل يتمشيان في الرواق حيث التقى رايان بهما عندما جاء يسأل أخاه الأصغر متى ينوي الذهاب.

كادت ليف تقع عن حافة الرواق حينما حضر رايان لكن الأخير أسرع وأمسك بها قائلاً:

- انتبهي!

جف حلق ليف والتهبت عندما لامست يداه جسمها، وارتبكت بشدة عندما اخذت عيناه تتطلعان اليها باعجاب ورأته يبتسم بهدوء قبل أن يقول:

- علمت الآن سبب اختفائك كل المساء يا جويل. . . ألن تعرّفنا ببعضنا؟

- آه! عفواً.

قال جويل معتذراً ثم أضاف بخيبة أمل:

- ليف جانسن، أخي رايان.

اطرق رايان قليلاً محاولاً تذكّر اسم ليف ثم لمعت اسنانه البيضاء في ابتسامة منتصرة:

- تذكرت الآن، الدراجة!

وتطلع باعجاب نحوها وأضاف:
- تغيرت قليلاً عن الماضي وبالتحديد نحو الأفضل.
غمرتها نظراته فشعرت بالحرج. فتابع:
- كما اذكر شيئاً آخر. انه وعد بيننا. أنت مدينة لي بعناق وأظن ان الوقت حان لأخذه.
قال جويل مستنكراً:
- هيا! ما هذا؟
- لقد خلّصت ليف ذات مرة من صبية مزعجين فوعدتني بأن أعانقها حين تبلغ السادسة عشرة، فهل بلغت السادسة عشرة؟
- نعم، وعلى وشك السابعة عشرة، لكنني لم أعدك بشيء.
قالت ليف ذلك ووجنتاها تلتهبان من الخجل.
- وهل تنكثين بوعدك؟ حسناً، علي اذن ان أسرقه.
وقبل ان تدرك ما هو فاعل، شدها اليه بذراعيه القويتين وعانقها بحرارة. منذ تلك اللحظة، اصبحت ملكاً له وكأن ذلك العناق ختم أبدي.
اشفقت ليف على جويل الذي أصيب بالخيبة وكان بوسعها ان تلمح ذلك في عينيه، لكنها كانت خائرة القوى لتفعل اي شيء بهذا الشأن فقد اعادها رايان الى حالة من الانجذاب لم تتخيل وجودها في اعماقها من قبل.
كان الأخوان دانيسون قدما الى الحفلة معاً في سيارة جويل وعادت ليف معهما الى المنزل.
كانت رحلة العودة القصيرة الى المنزل في منتهى الروعة اذ شعرت بقرب رايان منها رغم انه لم يمض وقت طويل على معرفتها المباشرة به.
اغمضت ليف عينيها محاولة محو صور الماضي من ذاكرتها. يا الله، كم كانت ساذجة. لقد ظنت انها وقعت في الحب لأول مرة، لكنها لم تعلم الا الآن بأنها وقعت في الحب لأول ولآخر مرة.

شعرت بالتعب وهي تقلب صفحات تاريخها القديم وعندما عزمت على الذهاب الى سريرها كي تنام سمعت وقع أقدام في الخارج. انصتت الى الصوت وخفقات قلبها تتزايد ثم انهارت لدى رؤية خيال يقترب منها.

ـ من هناك؟ من هناك؟

علا صوتها خوفاً مع اقتراب الخطوات ثم تبينت بوضوح ملامح الشخص المقترب وصرخت:

ـ أنت!؟

٢- فراشة في قفص أبدي

شعرت ليف لأول مرة في حياتها انها تكاد تنهار، فالتصقت بالحائط ترتجف من الخوف. فكرت للحظة ان خيالها استقدمه بطريقة سحرية، لكن رايان كان حقيقة، حقيقة واقعة.

ـ اعتذر لمفاجأتك.

كان الصوت نفسه بعمقه ورزانته، فهي لم تنس نبرة واحدة من نبراته. ذلك الصوت الذي فتح جراحاً قديمة كانت تعتقد انها شفيت.

ـ حسناً يا ليف، لقد مضى وقت طويل على فراقنا.

نظر رايان اليها بجرأته المعهودة. وعلى الرغم من ان نظراته كانت تائهة، الا ان ليف كانت تشعر بها وكأنها تطوّق روحها.

أدركت انها ترتدي رداء النوم القصير فشرعت تغطي نفسها بيديها.

- أليس الوقت متأخراً جداً للزيارة؟

سألت ليف بجدية، لكن رايان ابتسم وقال ساخراً:

- هل هذا كل ما تقولينه بعد غياب ثماني سنوات؟ انه لترحيب لطيف يا سيدة دانيسون!

- أي نوع من الترحيب تتوقع بعد ثماني سنوات؟ هل تريدني ان ارتمي بين ذراعيك؟

قالت ليف بمرارة وهي تكاد لا تصدق ان رايان يقف أمامها.

- في وقت مضى كنت ستفعلين ذلك بالتأكيد.

أجابها رايان مبتسماً ثم توسل اليها قائلا:

- الا تدعينني للدخول؟

يا الهي! ان هي سمحت له بالدخول فربما يوقظ التوأمين.

- كلا!

تفوهت بهذه الكلمة وردتها مراراً بعدما استعادت رباطة جاشها.

- كلا، لا أظن ان هذه الفكرة صائبة.

نظر رايان اليها بهدوء. وفجأة اقترب منها. لم تكن ليف قصيرة القامة، لكن كان عليها ان ترفع رأسها قليلا كي تنظر الى وجهه. وعلى الفور، شعرت برغبة شديدة في احتضانه وكادت يداها تصلان اليه، لكنها أحجمت وتنهدت بعمق ثم قالت:

- يجب أن ترحل يا رايان.

- آه، هكذا!

- ان الوقت متأخر. ربما سألقاك غداً عندما أذهب الى القرية. هل ستمكث طويلا هنا؟

وضع رايان يديه في جيبي سرواله محدقاً في البحر الممتد أمامه بينما كانت ليف تتأمله محاولة اكتشاف ما تغيّر فيه. كان شعره المسرّح بعناية

أقصر مما كان في السابق. اما كتفاه فازدادتا عرضاً. واستطاعت ليف ان تلمح عضلاته القوية تحت ضوء القمر مما يؤكد انه لم يتخلَّ عن العمل اليدوي الشاق. ورغم ان وجهه فقد آثار الفتوة، الا انه بالاجمال، كما اعترفت ليف لنفسها، لا يزال وسيماً كما كان دائماً.

- يبدو انني تغيرت مثلما يتغير الجميع لأن الزمن لا يرحم أحداً.

همس رايان وكأنه أدرك ما يجول في خاطرها وتابع بصوت أعلى:

- ألا يمكنك ان تقدمي لي شراباً إكراماً للماضي؟

قالت ليف بتردد:

- حسناً، انتظر قليلا ريثما أبدل ثيابي.

- لا يهم ، انني رأيتك ، فيما مضى ، بملابس اقل.

قال رايان ناظراً اليها بجرأة بينما كانت ليف تعاني مشاعر متناقضة يمتزج فيها الحب والكراهية، الحنان والحقد، وخطر لها ان تهجم عليه كي تقطعه بأظافرها وأسنانها انتقاماً، الا انها قالت بازدراء:

- لم تتغير أبداً يا رايان.

اقترب رايان منها وأمسك بذراعيها وقال بحزن:

- يظهر انك تغيرت كثيراً. يا الهي، هل يستطيع احد ان يتغير الى هذا الحد؟

- دعني وشأني، انك تؤلمني.

- ليف، لا تبعديني عنك.

قال رايان بغضب ثم دفعها بعيداً عنه متنهداً بعمق. وفيما لبثت ليف تراقبه صامتة ويداها تتفحصان الاحمرار الذي خلّفه امساكه بذراعيها، فوجئت به يسألها:

- من هو ذلك الرجل الذي كان عندك الليلة؟

- رجل؟ كيف علمت من كان هنا ومن لم يكن؟

- كنت متوقفاً بسيارتي قرب الشاطىء راغباً في رؤيتك على انفراد... هذا اذا كنت وحدك.

تضايقت ليف من لهجته الساخرة وقالت بغضب:

ـ انك لا تزال تحكم على الاشخاص وتقيسهم بنفسك يا رايان دانيسون العظيم.

وبغضب مماثل، قال رايان محذّراً:

ـ انتبهي يا ليف، أنا لا أعتقد انك توفرين الجو المناسب للطفلين، طفليّ، لأنك تخرجين مع رجل وتتركين آخر حاضناً لهما.

فرّ الدم من وجه ليف وسألت مندهشة:

ـ طفليك؟

ـ أجل! طفليّ، انني أعرف كل شيء عنهما منذ كان عمرهما ثمانية اشهر.

ـ وكيف علمت؟

ـ هل تهتمين بالأمر؟ يكفي انني علمت. كان بامكانك ان تخبريني بنفسك، لكنك لم تفعلي. ألا يحق لي ان أعلم؟

ـ يحق لك؟ يحق؟

ارتفع صوت ليف مع ارتفاع حدة غضبها وأكملت:

ـ ليس لك أي حق في ذلك يا رايان.

وفجأة تلاشى غضبها بسرعة مثلما ثار بسرعة وتابعت قائلة بهدوء:

ـ أنت لم تشأ ان ترتبط معي في البداية، وأنا لم أرغب في ان تكون هناك أية روابط فيما بعد. وهذا ما جعل الأمر ينتهي بيننا. انني تعبة الآن وسأذهب الى النوم.

لكن رايان أمسك بها وشدها اليه قائلا بغضب:

ـ أتظنين ان باستطاعتك ان تمحي كل شيء بسهولة؟ حاولي ان تكوني صادقة مع نفسك ولو مرة واحدة. كنت في السادسة عشرة من العمر. كنت صغيرة جداً ولا يمكنك بالتالي، الارتباط بأي كان.

ابتسمت ليف وقالت:

ـ لكنني لم أكن صغيرة جداً بالنسبة الى الأشياء التي أردتها مني، الأشياء التي أردتها فقط. حسناً يا رايان، انك نلت مني ما أردت ثم

رحلت بعيداً ، بعيداً جداً.
لاحظت ليف انها آلمته كثيرا وتوقعت ان يبرر فعلته ، لكن رايان أمسك بها بسرعة وقال:
- مهما تكن الفكرة التي كونتها عني في عقلك الصغير، الا انه من المؤسف ان أخيب ظنك يا سيدة دانيسون.
ضحك بقسوة وتابع:
- كلا، لم أتغير كما تعتقدين ويجب ان أتأكد اذا كنت أنت تغيرت.
وفجأة، ضمها الى صدره بقوة، وفي الحال، لم يشعر احدهما باللحظة التي حلت فيها العاطفة محل الغضب وخصوصاً بالنسبة الى ليف التي ساءلت نفسها: كيف استجابت له بعد كل ما حدث؟ وكيف شعرت وكأنها فراشة مسجونة في قفص الحب الأبدي؟
قال رايان مستنتجاً:
- نعم، أنت أيضاً لم تتغيري، فنحن، كما كنا دائماً، زوجان مناسبان.
- دعني يا رايان. دعني وشأني.
ابتسم رايان وقال ساخراً:
- سألتني كم سأبقى هنا. عليك ان تعتادي المجيء الي لأنني سأبقى مدة غير محدودة!
وفيما انسحب خارجاً من المنزل نظر اليها وقال:
- أراك يا ليف، ان هذا وعد!
اقفلت ليف الباب وراءه ولمست وجنتيها فوجدتهما مبللتين بالدموع. من المؤكد انها شعرت بالخطر الذي استحضره رايان بعودته. فهل عاد كي يهدم حياتها المستقرة؟
أمضت ليف عدة سنوات حتى استطاعت ترتيب شؤون حياتها بعد رحيل رايان، لكنها تشعر الآن، بعد عودته، بأنها تتخبط في أمواج العواطف المتأججة. أفاقت من خواطرها القلقة حين انطلق صوت ابنها لوك، الواقف الى جانبها يتطلع اليها بعينين ناعستين،

متسائلا:
- ما بك يا أمي، لماذا تبكين؟
- أنا بخير يا لوك. كل ما في الأمر انني لم استطع النوم.
- تعالي ونامي بالقرب مني.
قال لوك ممسكاً يد أمه بحنان فيما انحنت ليف أمامه واحتضنته بقوة والدموع تتدفق من عينيها على الرغم منها. ثم قالت ناظرة الى وجهه الصغير:
- آسفة يا لوك لأنني أيقظتك، هل تريد ان تشرب قبل العودة الى النوم؟
- أجل، من فضلك.
شرب بنهم، وسأل أمه بقلق:
- أظن انني سمعت أصواتاً. هل انت حقاً بخير يا أمي؟
- نعم، لا تقلق يا لوك، أراك في الصباح.
في صباح اليوم التالي، استيقظت ليف من نومها العميق، الذي خلدت اليه لفترة قصيرة، على رنين الجرس، فنهضت من سريرها واتجهت صوب غرفة الجلوس حيث سمعت لوك يخاطب زائر الصباح قائلا:
- لا تزال أمي نائمة يا عمي جويل. أعتقد انها كانت مريضة في الليلة الماضية.
لمح جويل ليف قادمة اليه فقال بعجلة:
- لا تؤاخذيني على ازعاجي لك فأنا قلق لما أصابك في الليلة الماضية اذ سمعت للتو انك لم تكوني على ما يرام.
- لم أكن مريضة، بل شعرت بقلق منع النوم عني حتى وقت متأخر.
قالت ليف ببرود. ثم أضافت وهي تتثاءب:
- ما الذي كنت تريد قوله؟
- ليف، لا ادري كيف سأخبرك بالأمر، لقد رأيت ان من الأفضل

ان أجيء اليك...

تنهدت ليف وقالت:

ـ كف عن القلق يا جويل فانني علمت بكل شيء...

ـ هل علمت؟ وكيف؟ من أخبرك؟

ـ ان الأخبار السيئة تصل بسرعة.

ـ لكنه وصل الآن فقط.

قالت ليف وهي تشعر باللامبالاة:

ـ بل وصل الليلة الماضية.

ـ الليلة الماضية؟ ولكن كيف...؟

تردد جويل ثم تابع:

ـ تعنين انه اتصل بك هاتفياً بعدما غادرتك؟ وهل كان مارتن عندك؟

أجابت ببساطة وكأن الأمر عادي جداً:

ـ كلا، كان مارتن غادر المنزل وفي الواقع جاء رايان الي.

كان بمقدورها ان تقرأ ما يجول في خاطر جويل.

ـ جاء الى منزلك؟ وكيف عرف مكانه؟

ـ لا أدري.

ـ أنا آسف. لم أفكر مطلقاً انه قد يأتي فجأة. انني أفهم مشاعرك، لكن يبدو ان رايان تغير كثيراً.

ـ هل تعتقد ذلك؟

ـ أجل. ألا تعتقدين ذلك أيضاً؟

ـ آه يا جويل! ان قدومه كان صدمة قوية. كم أود لو انه بقي غائباً لأنني لا أستطيع تحمّل هذا الواقع.

انطلق صوت جويل مهدئاً:

ـ لا تقلقي يا ليف. يجب ألا تنهاري. بامكانك عدم رؤيته اذا أردت ذلك وباستطاعتي التحدث اليه بهذا الخصوص.

ضحكت ليف ساخرة وقالت:

ـ هل يمكنك حقاً التأثير عليه؟
ـ ربما استطيع ذلك.
ـ انه يعرف كل شيء عن التوأمين ايضا، لكنه لم يقل من الذي أخبره.
ساد صمت قصير ثم سأل جويل:
ـ هل ستخبرين طفليك عن حقيقة رايان؟
ـ هذا ما يؤرقني. أظن انه ينبغي عليّ ان أخبرهما بكل شيء. قال رايان انه سيمكث هنا مدة غير محددة ومن المحتمل ان يجري حديث بهذا الشأن، لذلك لن أدع الطفلين يعرفان الحقيقة الا مني.
صمتت ليف قليلا ثم تابعت:
ـ كنت أعتقد ان الأمر انتهى في الماضي، غير ان ذلك كان خطأ فالأمر لم ينته، بل هو باقٍ كي يتحكم فينا ويخيفنا مهما حاولنا اخفاءه.
تأثر جويل وقال بعطف بالغ:
ـ اهدئي الأن فربما سارت الأمور نحو الأفضل.
ـ لا أوافقك على ذلك. انك لا تقول أية كلمة ضده رغم انه لا يستحق اخلاصك أبداً.
ـ ليف، لا تتضايقي...
ـ آسفة يا جويل. انني اعتدت عليك كثيراً لأنك متساهل جداً معي.
ـ دعينا من هذا الحديث. لنفكر بأمر آخر. هناك مباراة لكرة القدم سيشترك فيها لوك. سأمر عليك غداً كي نذهب معاً الى هذه المباراة التي ستنسينا همومنا.
ـ هذه هي الطريق التي يسلكها الجبان عندما يواجه مصاعب الحياة. في أي حال، ربما كنت مصيباً هذه المرة.
ضحك جويل وقال:
ـ ربما لا أكون دائماً على حق، لكنني لا أخطىء أبداً. فأنت لن تستطيعي ان تبقي في هذه الظروف ... وحدك.

٣ ـ القط والفأر

فتح جويل أبواب سيارته الفخمة كي ينزل منها التوأمان بينما وقفت ليف تتأمل منزل آل دانيسون بالاعجاب ذاته الذي شعرت به منذ ثماني سنوات. ان أول مرة رأت فيها هذا المنزل كانت بمناسبة عيد ميلاد جويل الحادي والعشرين حيث اصيبت بذهول شديد من روعته. كان المنزل مبنياً على مرتفع يشرف على شاطىء خاص به، شاطىء تحتفظ ليف بذكريات ممتعة عنه.

كان دانيسون الأب فخوراً جداً بمنزله بقدر ما كان شديد الاهتمام بمنطقته، مما جعل منه شخصية معروفة بين سكان المنطقة. ومع ان طريقة عمله وتشبثه برأيه لم ترق للكثيرين، الا ان الجميع كانوا معجبين باصراره على حماية المنطقة ضد استغلالها

للأغراض الصناعية.

اعتادت ليف أن تأتي مع التوأمين لمشاركة دانيسون الأب عشاءه مساء كل يوم سبت، حتى اصبحت تلك العادة اشبه بالطقوس الروتينية. لم يكن ذلك لأن ليف كانت ترغب في المجيء، وانما لأن دانيسون الأب كان يصر على رؤية حفيديه باستمرار.

حين وضعت ليف التوأمين، اصر دانيسون الأب على قدومهم جميعاً للعيش معه في منزله، لكن ليف عارضت الفكرة بحزم وألحت على البقاء في منزل والدها. لم ترغب آنذاك في التواصل مع آل دانيسون اذ كان الجرح الذي سبّبه لها رايان لا يزال طازجا وعميقاً. مع مرور الزمن، استطاع دانيسون الأب، بعاطفته الواضحة نحو التوأمين، ان يحسن العلاقة مع ليف التي سمحت له برؤية حفيديه. بعد ثلاث سنوات، وفي اعقاب وفاة والدها، جدد دانيسون الأب ضغوطه عليها كي تنتقل الى منزله لكن ليف رفضت ذلك باصرار.

كان جويل ينجدها دائماً كلما تطرق والده الى هذا الموضوع، لأنه تفهّم بوضوح حاجتها الى الاستقلال.

في هذه الزيارة، كانت ليف تستعد لأمسية غير عادية حيث علمت من سلفها جويل، حينما صعدت الى سيارته من منزلها، ان رايان سيشاركهم السهرة.

فتح الخادم توماس باب المنزل مبتسماً كعادته. وبسرعة، هرع التوأمان الى غرفة الجلوس لمقابلة جدهما بينما سألت ليف سلفها:

ـ هل علم دانيسون الأب بعودة ابنه، أعني هل جاء رايان لرؤيته في الصباح؟

تنهد جويل بحزن وقال:

ـ هل تتصورين ان ابي لم يعلم بعد؟ نعم، اعتقد ان رايان سيأتي لرؤيته هذه الليلة بعدما اتصل به خلال النهار وتبادل معه حديثاً ودياً.

- كيف استقبل نبأ قدومه؟

- بهدوء وهذا ما ادهشني فهو لم يثر أو ينفعل، بل اكتفى بهز رأسه والتوجه الى مكتبه للعمل.

امسك جويل بيد ليف وسألها:

- وماذا بشأنك، هل انت بخير الآن؟

نظر جويل اليها ليرى الألم بادياً في عينيها ثم هز رأسه متعاطفاً معها وقال:

- ارى انك ما زلت منشغلة البال بشأن التوأمين؟

- نعم يا جويل، انا شديدة الاهتمام بشعور التوأمين وسأفعل كل ما بوسعي لحمايتهما. واذا كان ذلك يعني التحدي، فانني لن اتردد ابداً.

- اظن انه لا لزوم للقلق.

انهى جويل حديثه حالما دخل والده غرفة الجلوس.

- اوليفيا، جويل، ما الذي تخططان؟

نظر دانيسون الأب بحدة الى زوجة ابنه وتابع:

- تعال يا جويل وقدم لنا الشراب.

جلس الجميع في البهو الفخم حيث قام جويل بتوزيع كؤوس الشراب.

- اخبرني لوك ان فريقه فاز بمباراة كرة القدم الأخيرة، لذلك فأنا حزين للغاية لأنني لم اشاهدها.

- نعم، كانت مباراة مثيرة.

قالت ليف وهي ترشف الشراب فيما كان ذهنها منشغلاً بالحديث الذي تبادلته مع جويل.

انتظرت ليف ان يأتي دانيسون الأب على ذكر رايان، ابنه الأكبر، لكنه لم يفعل. وهكذا، سيطر على الجلسة جو اعتيادي تمحور حول أحاديث الطفلين. وكان لدخول الخادم توماس المتكرر اثره في الشعور العام بالارتياح، ولكن ليس لفترة طويلة. فما كاد

توماس يطلب الحديث مع دانيسون الأب على انفراد حتى قطب الأخير حاجبيه، وقبل أن يأتيه الجواب، انفتح الباب ودخل رايان.

لم ينطق أحد بكلمة. وفيما كانت عيون الجميع شاخصة نحو رايان، وضعت ليف الشوكة والسكين باعتناء امام صحنها وقلبها يخفق بشدة.

لم يبدُ رايان يوماً اكثر وسامة مما كان عليه اليوم، وكادت ليف تركض اليه وتتعلق به، الا انها حافظت على توازنها وحرصت على اخفاء الانفعالات الفورية وحفظها في الماضي، حيث مكانها، الى جانب الحب الذي اعطته اياه بسخاء فحطمه عندما نال مبتغاه.

كان رايان يرتدي قميصاً قصير الأكمام، ولحظة دخوله، اكتسى وجهه بتعبير جاف وقلما لمعت عيناه وهما تتحركان متفحصتين كل فرد.

نظر جويل بلهفة الى والده ثم وقف على قدميه، لكن الأخير اعاده الى مقعده بانزعاج من دون ان يتطلع اليه، بل تطلع الى ابنه الأكبر وقال:

ـ حسناً يا رايان، ان وجودك غير تقليدي كالعادة. هل ستشاركنا العشاء ام انك ستبقى واقفاً هكذا طوال السهرة؟

احنى رايان رأسه تاركاً الباب يتأرجح وراءه.

ـ جهز له طعامه يا توماس.

قال دانيسون الأب وهو يرشد رايان الى المقعد الفارغ امام جويل ومقابل ليف.

ـ تناولت طعام العشاء، شكراً لك يا توماس، انني ارغب في فنجان من القهوة.

ـ اجل يا سيد رايان.

كان التوأمان يراقبان الزائر الجديد باهتمام متسائلين عن سبب الاضطراب السائد في الغرفة.

نظر دانيسون الأب الى ليف والتوأمين ثم الى ابنه رايان وقال

ببرود:

- ايها المبذر! اما كان ينبغي ان تخبرنا بمجيئك بدلاً من مفاجأتنا؟

- كفى يا ابي، ان حب للفاجأة شيء ورثته عنك، فأنت سيد الوسائل الفجائية. رفع رايان حاجبيه قبل ان ينظر الى ليف قائلاً وهو يشير الى الطفلين بعينين متحديتين:

- ألن تعرفينا على بعضنا البعض؟

خاطبت ليف التوأمين:

- هذا هو رايان. الأخ الأكبر لعمكم جويل.

ثم نظرت اليه وهي لا تعي التعبير الدفاعي في عينيها وتابعت:

- لوك، ميلي.

ابتسمت ميلي وسألت بحياء:

- لم نرك قبل الآن، اين كنت؟

بقي لوك صامتاً. وبسرعة، ادركت ليف ان عقل ابنها الصغير يتفحص المشكلة التي عرف انها قائمة، لكنه غير قادر على فهمها جيداً.

- كنت اعمل في الخارج، في فيجي ونيوزيلندة.

- نحن نعرف اين تقع نيوزيلندة. ان التلميذ الجديد في صفنا قادم من هناك، كما ان معلم الجغرافيا اشار لنا الى موقعها على الخريطة.

قالت ميلي باعتزاز ناظرة الى رايان الذي هز رأسه موافقاً ثم قال:

- تقع فيجي شمال نيوزيلندة والى الشرق من هنا.

نظر جويل الى ليف نظرة ذات معنى. وقبل ان تدرك قصده، اخذ الطفلين الى الخارج كي يشاركهما اللعب بالقطار الكهربائي الذي كان أعده لهما.

اتجهت ليف صوب النافذة كي تتطلع الى المحيط ويدها تعبث بالسلسلة الذهبية المعلقة حول عنقها. وشعرت غريزياً ان رايان

عبر الغرفة ووقف خلفها. عندئذ، خفق قلبها بشدة وخصوصاً لما سمعته يقول بصوت ناعم وكأنه يعي ما يقول:
- لم انس هذا المنظر ابداً. لم انس الطريقة التي يتلاعب فيها ضوء القمر مع الماء والرمال.
- نعم، انه لمنظر جميل!
حاولت ان تبقى هادئة وان تعامله كصديق عادي، لكنه ليس بالصديق العادي. هكذا هتف صوت من أعماقها.
كانت عيناها شاخصتين الى الشاطىء وكان باستطاعتها تحديد المكان حيث كانا يستلقيان معاً. ارادت ان تمزق عينيها لتتخلص من تلك الذكريات، لكنها بقيت مسمرة في مكانها بينما كان جسمها يلتهب بمزيج من الحياء والانفعال.
- بالطبع هناك اسباب تجعلنا نتذكر هذا المنظر، أليس كذلك يا ليف؟
تدفق صوته حلوا كالعسل، ناعماً كالحرير، لكنها عاندت نفسها كي لا تقع في لزاجته والتفتت نحوه وقالت متظاهرة بالوقار:
- من الأفضل ان تنسى ذلك يا رايان. انه لمن قلة الذوق وفساد الأخلاق ان تذكر الماضي.
ضحك رايان وقال بهدوء:
- هل يمكنك النسيان يا ليف؟ انا لم انس وما زلت اتذكر أدق التفاصيل.
- استغرب ان تكون رصيناً كفاية حتى تتذكر كل شيء.
قالت ليف بمرارة قبل ان يفتح الباب ويدخل دانيسون الأب.
كاد رايان يثور غضباً، ولكنه التفت نحو والده. لم تبد على وجهه اية ملامح وكأنه ارتدى قناعاً.
شعرت ليف بالحاجة الى الصراخ، لكنها قالت بهدوء:
- اظن ان علينا العودة الى المنزل حيث حان وقت نوم التوأمين.

سأخرج وأبحث عنها.
ـ من الأفضل ان اذهب ايضاً.
ثم تابع رايان ببساطة:
ـ سأوصلك الى البيت يا ليف.
ـ ليس هناك لزوم لذلك. ان جويل يوصلنا بسيارته عادة..
اتجهت ليف نحو الباب محاولة الهرب منه.
ـ هل من الضروري ان يخرج جويل سيارته بينما تقف سيارتي امام الباب؟
قاطعه والده قائلاً:
ـ اين تقيم يا رايان؟ يمكنك العودة الى المنزل اذا شئت.
ـ شكراً.
التفت دانيسون الأب يتأمل ليف التي شعرت بالخجل. فهل يعتقد هذا العجوز ان رايان يقيم معها في بيتها؟
ـ لماذا لا توصلنا الى البيت كعادتك يا عم جويل؟
سأل لوك بامتعاض لا مبرر له وهو يراقب سيارة رايان المرسيدس ذات اللون الفضي. احمر وجه ليف بسبب تصرف ابنها غير اللائق رغم انها تشاركه مشاعره.
ـ السيد رايان عرض ان يوفر على العم جويل عناء اخراج سيارته.
اوضحت ليف الأمر لابنها فيما كان جويل ينظر الى اخيه بحرج وتعاطف معاً. ومن دون ان يبدي اي اهتمام أو يلقي اية ملاحظة، فتح رايان الباب الخلفي كي يصعد التوأمان الى السيارة.
نظر لوك بحدة الى رايان قبل ان يستقر في مقعده، بينما صعدت ليف الى المقعد الأمامي من دون ان تتطلع اليه.
ساد الصمت خلال الطريق ولم تشعر ليف بهدوء اعصابها الا عندما وصلت الى منزلها.
ـ شكراً لك لأنك اوصلتنا الى المنزل.

قال لوك بنبرة تتجاهل رايان بشيء من الوقاحة، لكن الأخير رفع حاجبيه وقال:

ـ اراك في الداخل. اود التحدث الى والدتك اذا سمحت.

اوقعت نظراته الثابتة لوك في الحرج، فهز كتفيه الصغيرتين ودخل الى المنزل.

بقي رايان في غرفة الجلوس فيما أعدت ليف طفليها للذهاب الى النوم بعد ان تمنيا لرايان مساء سعيداً.

قالت ميلي وهي على وشك النوم:

ـ تصبحين على خير يا امي، اليس اخو العم جويل لطيفاً؟

اغلقت ليف باب الغرفة وفكرت ان رايان لم يفقد تأثيره القوي ثم مرت بغرفة لوك الذي كان مستلقياً وهو مستاء.

ـ ما الذي يريد ان يقوله لك يا امي؟ ليس عليك التحدث اليه ان لم ترغبي في ذلك.

اجابت ليف وهي تنحني كي تحتضنه:

ـ لكن لم لا يجب ان اتحدث اليه؟ كف عن القلق واذهب للنوم الآن.

لكن لوك قال عابساً:

ـ لم يرق لي. ناديني ان اردت مني المجيء اليك.

ـ حسناً، سأناديك اذا كنت بحاجة اليك.

كان رايان يحضر فنجانين من القهوة عندما سأل ليف:

ـ قهوة بالحليب ومن دون سكّر، أليس كذلك؟

وتابع من دون ان ينظر اليها:

ـ ارأيت انني ما زلت اذكر تلك التفاصيل الدقيقة؟

ـ رايان، بدأت اتعب من هذه التفاهات. انني لا افهم لماذا تلعب معي لعبة القط والفأر، فأنا لا اريد ان اكون طرفاً في هذه اللعبة كما لا اريد ان ازعج التوأمين.

نظرت ببرود نحوه وهي تتعجب للسيطرة التي استطاعت ان

تمارسها على نفسها بينما قال رايان وهو يجلس الى الطاولة:
- اني افهم ذلك.

جلست ليف في مقعدها ورشفت قهوتها بارتباك، اذ ان هذا الخضوع كان جديداً في طبعه ولم تعرف كيف تتعامل معه.

شرب قهوته بصمت وعيناه تطوفان عبر المطبخ ثم تتعلقان بها وتابع:

- انهما طفلان رائعان. لا شك انك قمت بجهد مضنٍ من اجل تربيتهما.

- شكراً.

قالت ليف بينما لم تستطع التخلص من نبرة السخرية في صوتها.

قام رايان ليغسل كوب القهوة، فأحست ليف بالارتياح لاعتقادها انه سيغادر. لكنه وقف مستنداً الى المقعد ونظر اليها قائلاً:

- لم اعهدك ساخرة، لكنني اظن انني استحق ذلك بسبب تركي لك وحيدة تواجهين مصاعب الحياة. لكن كانت لي اسبابي في ذلك الوقت. اما الآن، فانني ارغب في اصلاح اخطائي يا ليف.

نهضت وعشرات الأفكار تتزاحم في رأسها وموج كثيف من العواطف يثير قلقها، الا انها بقيت محافظة على هدوئها وقالت:

- نحن نتدبر امورنا جيداً يا رايان ولا نحتاج الى شيء.

التفت رايان اليها والغضب يملأ وجهه وقال:

- اللعنة عليك. انني لا اقصد ذلك فأنت لم تلمسي مليماً واحداً من المال الذي ارسلته لك بواسطة المصرف لأنك عنيدة.

توقف قليلاً ثم تابع:

- ما اقصده هو انني ارغب في بقائك الى جانبي. اريدكم انتم الثلاثة واريد ان اعوّض ما فاتني خلال السنوات الثماني الفائتة.

جرفتها موجة من الحنين، لكنها عادت الى ذكريات الجرح الذي اصابها، فأصرت على الرفض الأمر الذي اثار الغضب في

اعماقها وقالت:
- تعوض لنا، تصلح الأمور، لماذا؟ لماذا ايها المغرور المتشبث برأيه؟ هل تعتقد اننا بحاجة اليك؟
- بالله يا ليف، فكري بعقلك.
سار حول الطاولة ووقف امامها متابعاً:
- لست فقيراً وباستطاعتي ان اوفر للطفلين الحياة التي يرغبان فيها.
وضع يده على ذراعها ، الا انها ابعدتها عنه قائلة:
- ان الطفلين سعيدان وهما يتلقيان الحب والعناية وباستطاعتي ان اوفر لهما أي شيء يحتاجانه.
- حتى الاب ؟
تطلعت عيناه بقسوة الى وجهها ورأت ليف الغضب بادياً على محياه برغم سيطرته على نفسه.
- حتى الأب.
قالت باهمال وهي تهدف الى جرح كبريائه مثلما كان قد جرح كبرياءها ثم اضافت:
- طلب مني مارتن ويلسون الزواج وربما اوافق. الا ترى انك لم تكن بحاجة لتحمل مشقة العودة؟ ان رحلتك لم تكن سوى مضيعة للوقت.
- وهل هذا صحيح؟
سأل بهدوء، بهدوء خطير وأضاف:
- انت امرأة متزوجة يا ليف، تذكري ذلك. ليس باستطاعتك ان تتزوجي احداً الا اذا كنت تريدين اقتراف جريمة تعدد الأزواج.
- هناك دائماً طلاق. انك رحلت منذ مدة طويلة جداً تكاد تكون هجراً، وهذا هو الأساس المناسب للطلاق.
- لكنك تنسين شيئاً يا سيدة دانيسون، فأنا لا اريد الطلاق

وخصوصاً بعدما عرفت ما افتقد. ان لدينا الوقت الكافي من اجل اعادة الأمور الى طبيعتها. انت لي يا ليف، وكل ما هو لي يبقى لي. اني مصمم على عودتك الي مع التوأمين.

ـ تعيدني اليك؟ لن يمكنك استعادة شيء لم يكن ملكاً لك. اراك، فيما بعد، خارجاً فليس لدينا أي شيء نقوله الآن.

ـ حقاً، ليس لدينا شيء نقوله!

امسك بها بقسوة، فحاولت التخلص منه وقالت بهدوء وهي تفكر بالطفلين الموجودين قريباً منها، وخاصة لوك الذي لاحظ الروح العدائية بينهما:

ـ دعني يا رايان.

ابتسم بمكر وهو يميل نحوها قائلاً:

ـ ان وجهك لا يعبر عن ذلك.

ـ دعني يا رايان. يجب ان تخرج الآن، فأنا اريد ان انام.

ضمها الى صدره بقوة وقال:

ـ كم رائحتك زكية. اين تقع غرفتك؟

ـ رايان، ارجوك!

قالت ليف بحزم من دون ان تملك السيطرة تماماً على عواطفها الملتهبة. ولاحظ رايان ذلك فقال:

ـ انت كاذبة! انت تريدين ان ابقى الى جانبك وأنا اريد نفس الشيء. ان فترة الثماني سنوات طويلة جداً.

مرت ثوان قبل ان يتركها رايان ويتوجه نحو الباب هامساً:

ـ ايتها العنيدة! تذكري ما قلته لك: انت لي.

كان صباح اليوم التالي مشرقاً. ولأول مرة في حياتها، لعنت ليف الشمس لأنها كئيبة وحزينة. اما ميلي، فانها كانت تتحدث بمرح وهي تضع المربى على الخبز فيما كان لوك يسأل والدته وهو يتناول كوب الحليب:

ـ هل لدى العم جويل اخوة آخرون؟

تجمدت يدها وهي تحضر الخبز الساخن اذ كانت تعلم انها لن تستطيع الكذب عليه بسهولة ، فالمواجهة مع رايان في الليلة الماضية كانت ما تزال تقلقها وتجعل من الصعب عليها التحدث بهدوء مع طفليها.

اعاد لوك السؤال، فنظرت اليه اخته مندهشة:

ـ لا ، ليس لديه اخوة آخرون.

زوجان من العيون كانا يحدقان بها. عينا ميلي الزرقاوان وعينا لوك البريئتان.

قالت ميلي:

ـ انه وسيم جداً. اكثر وسامة من العم جويل...

ثم اضافت بسرعة وكأنها احست ان كلامها يدل على عدم اخلاصها له:

ـ لكن العم جويل لطيف جداً.

رن جرس الهاتف، فنهضت ليف للاجابة بسرعة كي تتخلص من ذلك الموقف المحرج.

ـ صباح الخير يا اوليفيا.

ـ صباح الخير يا مارتن. كيف حالك؟ يبدو انك استيقظت باكراً.

ـ نعم، فأنا اخرج عادة للركض في المنتزه قبل تناول طعام الفطور.

ـ عظيم جداً.

ـ هل انت منشغلة بعد الظهر؟ كنت ارغب في الخروج مع الطفلين في نزهة.

هذا ما كانت ترغب فيه ليف ايضاً كي تبتعد عن المنزل وعن أية فرصة للقاء مع رايان.

لذلك اجابت:

ـ سيعود الطفلان من المدرسة في الحادية عشرة. فهل نذهب في

نزهة الى الشاطىء ونتناول طعام الغداء هناك؟
- انها فكرة جيدة. سأكون عندكم في تمام الحادية عشرة والنصف.
- حسناً، سيكون لدي الوقت الكافي لتجهيز طعام الغداء.

اندهشت ميلي حين علمت ان مارتن سيرافقهم بينما بقي لوك صامتاً. وما كادت ليف تنتهي من تحضير طعام الغداء، حتى وصل مارتن بسيارته، فانطلق الجميع في طريقهم الى الشاطىء.

بعد الغداء وفيما كان الطفلان يلهوان بالماء، استلقت ليف الى جانب مارتن تحت شجرة نخيل. وبعدما شعرت بالاسترخاء، تناولت حفنة من الرمال وتركتها تنساب ببطء بين اصابعها.

تحركت عينا مارتن نحو الصورة الجذابة التي بدت فيها ليف وهي مستلقية الى جانبه مرتدية الشورت الأبيض والقميص الأحمر.

- هل فكرت في طلبي يا اوليفيا؟

سألها مارتن بهدوء بينما لبثت ليف تتذكر بصعوبة ذلك الطلب وأحست بالذنب حين وجدت التعبير العاطفي يملأ وجهه، لكنها اجابت:

- لا، لم افكر فيه يا مارتن. في الواقع، لم تتح لي الفرصة لذلك كما انني لا استطيع ان اتخذ قراراً سريعاً.

امسك بيدها وقال بعطف:

- انا ادفعك الى العجلة، اليس كذلك؟ لكن من المهم يا اوليفيا ان تتخذي قراراً واضحاً لأنك بحاجة الى زوج. ان باستطاعتي...

- مارتن، ارجوك، دعنا من التكلم في هذا الموضوع اليوم. دعنا نتمتع بنزهتنا من دون التطرق الى مواضيع جدية.

حاولت سحب يدها، الا انه تمسك بها قبل ان يتركها قائلاً بحزم:

ـ حسناً، لكنني لن استسلم.
صمت قليلاً ثم تابع متسائلاً:
ـ هل استمتعت بالأمسية التي قضيتها مع عمك؟
ـ كانت امسية ممتعة حقاً.
اجابت ليف وهي مسرورة لأنها استطاعت اخفاء تعابير وجهها خلف نظارة الشمس.
امسية ممتعة؟ يا للهول! انها امسية مهلكة ان صح التعبير.
ادركت ليف ان الوقت مناسب كي تصارحه بعودة رايان، لكنها لم تفعل لأن ذلك سيدفع مارتن الى طرح مزيد من الأسئلة بينما كانت تتهرب من اسئلته مثلما تتهرب الفرس من اللجام.
نهضت ليف بسرعة ادهشت مارتن ثم سألته:
ـ هل احضرت ثوب السباحة معك؟
ـ نعم، انه في السيارة.
ـ حسناً، دعنا نسبح قليلاً طالما اننا تناولنا الغداء.
ـ كما تريدين. سأذهب وأبدل ملابسي.
انتعشت ليف عندما لامس جسمها الحار ماء البحر. وبعد فترة قصيرة، انضم مارتن اليهم مرتدياً ثوباً من الطراز القديم وبدت بشرته بيضاء كأنها لم تتعرض للشمس ابداً. ومن دون أي وعي منها، قارنت ليف جسمه بآخر، رشيق وقوي. جسم مألوف لديها حتى انها تتذكر تفاصيله بعد مضي ثماني سنوات. انه جسم رايان، ذلك الفتى الأسود الشعر الذي تركها تواجه معركة الحياة وحيدة.
كادت الشمس تغيب حين رجع الجميع الى المنزل. واستعاد التوأمان مرحهما بعدما رحل مارتن اذ كان، قبل اي شيء، معلماً في مدرستهما، وبالتالي فهو غريب تقريباً.
قضاء النهار في الهواء الطلق كان شيئاً مفيداً، حيث نامت ليف

وطفلاها نوماً عميقاً من دون التطرق الى ذكر رايان دانيسون الذي لم يتصل بهم أو يأتي لزيارتهم. وفي الواقع، مضى اسبوع تقريباً قبل ان تسمع ليف اي شيء عنه.

٤ ـ دعني وشأني . . .

كانت ليف تعمل في مخزن الهدايا التذكارية كل نهار ثلاثاء وجمعة ، بعدما اتفقت مع ماريا كوستيللو على رعاية التوأمين اثناء غيابها .

وعند الساعة الرابعة والنصف من يوم الجمعة ، وفيما كانت تنفض الغبار عن الرفوف ، رأت جويل قادماً نحوها بعد ان غاب عنها اسبوعاً كاملاً .

ابتسم جويل بارتباك وقال :

ـ مرحباً !

ـ اهلاً بك يا جويل . ما الذي كنت تفعله طيلة الاسبوع ؟

ـ ارسلني ابي الى بلدة بريسباين لعدة ايام . وعدت هذا الصباح .

ـ كانت رحلة مفاجئة ، اليس كذلك ؟

هز رأسه موافقاً. ثم جلس قرب مكتبها.

- ما يزال ابي ينقب عن المعلومات بشأن ممتلكات السيدة كرافن. وبالأحرى، كنت انا من ينقب. يا الله كم انا مشمئز من ذلك يا ليف. اذ اختلفت مع والدي لأنني لم اكتشف شيئاً.

ابتسمت ليف. فباستطاعتها ان تتخيل نوع الخلاف بينهما، لأن لا شيء يرضي عمها سوى الكمال. ومن دون شك، ستعلن السيدة كرافن امام الجميع اسم الذي اشترى املاكها عندما يحين الوقت المناسب.

نظر جويل اليها نظرة غريبة وقال:

- يظهر انك غير مضطربة . اقصد ان والدك كان يثور مثل والدي لدى أي تطور يجري اقتراحه على ممتلكات كرافن أو على اية جزيرة في المنطقة.

- اعرف يا جويل. وأنا لا احبذ رؤ ية بناء ضخم يقام هناك. لكن قبل أي شيء، انها ملك السيدة كرافن ولها كل الحق في التصرف بها كما تشاء. فهي سيدة واعية ولا اتصور انها تدع احداً يغطي عينيها بالصوف.

- هذا ما اشعر به تماماً. وعلى والدي ان يهدأ ويحاول تدبير اموره بصبر واناة. والآن، كيف حالك؟ وكيف تسير الأمور معك؟

نظرت ليف بدورها اليه قائلة:

- اظن انك تعني كيف تسير الأمور بالنسبة لرايان.

- اجل!

- لم اره منذ السبت الماضي، ولا اهتم اذا لم اره ثانية.

- بالله عليك يا ليف، اعطيه فرصة...

- فرصة؟ تقول ذلك يا جويل بعد كل ما فعله بك وبوالدك؟

- وما الذي فعله يا ليف باستثناء انه اراد ان يعيش حياته بالطريقة التي يريد؟ فهو يختلف عني يا ليف. كما انه يعرف ما يريد من الحياة. كان دائماً يعرف ما يريد منذ كان طفلاً. انا اقدر ان

اتوصل الى حل وسط وان انحني امام الريح. لكن رايان لا يستطيع ذلك. فهو يشبه والده الى حد كبير. لذلك لا يتفقان ابداً.

تنهد جويل ثم اضاف:

ـ هل اخبرك رايان بشيء عندما اوصلك الى البيت يوم السبت الماضي؟ وهل اخبرك عن خططه؟

ـ اننا تحدثنا، اذا كان بامكانك ان تسمي ذلك حديثاً.

قال جويل بهدوء وهو يختار كلماته:

ـ اعتقد انه ينوي استعادتك.

ـ آه يا جويل. انه اتى متأخراً. فكل ما كنت أكنّه له من حب، مات منذ ثماني سنوات.

ـ وهل انت متأكدة من ذلك؟ اظن ان عليك ان تمنحيه فرصة ثانية.

نظر اليها بجدية وتابع:

ـ من اجل التوأمين على الأقل.

قالت ليف بهدوء:

ـ انها رشوة عاطفية. لا يا جويل، لا يمكنني خوض التجربة معه ثانية.

صمت جويل قليلاً ثم قال بصدق:

ـ انني في موقف حرج لأنني احبكما انتما الاثنين.

ـ لكن كيف تستطيع ان تكون... يا الله، كنت اعتقد انك آخر من يدافع عنه ويرحب بعودته. فهو لم يهتم بمشاعرك قط. رايان يحب الأخذ فقط، يجب ان تتأكد من ذلك. فالذي يريده يأخذه مهما كلفه ذلك من ثمن.

ـ ان الذي يأخذ لا يأخذ سوى ما يسمح له الآخرون بأخذه (ابتسم بمكر، فرأت ليف في وجهه صورة لرايان) في اي حال، لم يأخذ مني شيئاً كان ملكاً لي تماماً.

قال وهو ينظر بثبات في عينيها. الا انها أبعدت نظراتها عنه.

وقف جويل وهز كتفيه، فتساءلت ليف عما اذا كان يعتقد انه قال الكثير. فمن النادر ان يتحدث جويل عن امور شخصية، وكذلك كانت ليف. ويظهر انهما اقاما منطقة حيادية صغيرة بينهما، رغم انهما من افضل الأصدقاء في المجالات الأخرى.

قال وهو ينظر الى ساعته:

- حسناً، من المستحسن ان اذهب. ستغلقين المخزن بعد خمس دقائق، اليس كذلك؟

- نعم، ومن ثم اذهب لاصطحاب التوأمين الى البيت.

- حسناً، اراك فيما بعد. سلامي الى المشاغبين. بالمناسبة، الم يذكر رايان اين يقيم؟

- كلا. اعتقد انه يقيم في الفندق طالما انه لا يقيم في المنزل.

- لم اجده هناك. ربما سألتقي به في مكان ما. وداعاً يا ليف.

اغلقت ليف المخزن وحاولت ان لا تجعل كلمات جويل تشغل تفكيرها بالماضي ثانية. وسرعان ما كانت في طريقها الى بيت آل كوستيللو.

كانت ماريا شديدة الشغف بزوجها وطفليها. وكان زوجها قدم من ايطاليا الى اوستراليا عندما كان صبياً، حيث عمل ربّاناً لاحدى سفن دانيسون الأب، مثلما كان والده يعمل من قبله.

صداقة مايك كوستيللو ورايان كانت احد اسباب الخلاف بين رايان ووالده. ليس لأن دانيسون الأب يكره مايك الذي كان مخلصاً لعمله واهلاً للثقة، بل لأن هذه الصداقة تتناقض مع المستوى الاجتماعي لعائلة دانيسون.

كانت ماريا تراقب الاطفال الذين كانوا يلعبون في الحديقة عندما أطلت ليف. فقامت تستقبلها مبتسمة عند باب المنزل.

- كيف حالك يا ماريا؟ أرجو ان تكون صوفي قد شفيت من زكامها.

سألت ليف فيما كان التوأمان يهرعان لاحضار حقائبهما المدرسية.

ـ انها أفضل اليوم. كاد الأمر يكون مؤسفاً لو انها بقيت مريضة، حيث يصادف غداً عيد ميلادها. وهي تتمنى ان تشاركوها الغداء.

ـ نحن ننتظر ذلك بشوق أيضاً. هل الحادية عشرة والنصف موعد ملائم؟

ابتسمت ليف حين رأت ابنة ماريا الصغرى تركض وراء لوك.

ابتسمت ماريا بدورها وقالت:

ـ يبدو وكأنها لا تزال طفلة صغيرة. أكاد لا أصدق انها ستبلغ الخامسة غداً.

ـ حين تذهب الى المدرسة في السنة القادمة، ستشعرين انها كبرت حقاً. شكراً لرعايتك التوأمين. نراك غداً على الغداء.

في اليوم التالي، ذهب الجميع الى بيت آل كوستيللو. وبعدما فتحت صوفي الهدايا، قاد مايك الاطفال الى الحديقة، بينما اصطحبت ماريا ليف الى المطبخ. كان واضحاً ان هناك شيئاً يقلق ماريا. تمنت ليف ان لا تكون حالة والدتها الصحية تسير نحو الاسوأ بعد العملية الجراحية.

قالت ماريا والقلق يملأ وجهها الجميل:

ـ لا ادري تماماً كيف ابدأ الحديث يا ليف. ان الرجال ثقلاء الظل بعض الاحيان. كدت أحطم مايك حين اخبرني بما فعله!

ابتسمت ليف وهي تحاول ان تتخيل ماريا وهي تتشاجر مع مايك كوستيللو وقالت:

ـ مايك المسكين! ماذا فعل؟

ـ ليف، لست ادري كيف ستكون ردة الفعل لديك. في الواقع، لست ادري حتى اذا كنت تعلمين. . .

توقفت قليلاً لتأخذ نفساً عميقاً واردفت:

ـ ان الأمر يتعلق. . . يتعلق برايان.

رأت ماريا الابتسامة تذوي من وجه ليف. فتحركت وربتت على ذراعها وتابعت:

ـ انني آسفة، لا أريد ان اخبرك بعودته.
ـ اعلم ذلك، انه جاء لرؤيتي.
تنهدت ماريا والاهتمام يملأ عينيها:
ـ كنت قلقة جداً بشأن البوح لك بذلك. لم اكن اريد ان أصدمك. لقد قابله مايك هذا الصباح، كما دعاه للغداء اليوم. صدقيني يا ليف، نحن لا نريد احراجك، كما لا نريد ان يصل ويفاجئك.
ـ ارجوك يا ماريا، لا تقلقي. انني اعتدت على وجوده. كما ان رايان ومايك صديقان حميمان، ومن الطبيعي ان يدعوه للغداء.
ـ لكن ماذا بشأن التوأمين؟
ـ انهما شاهدا رايان في منزل جدّهما في نهاية الاسبوع الماضي. لكنني لم أذكر شيئاً لهما عن علاقتي برايان.
توقفت ليف عن الحديث لدى دخول مايك الى المطبخ. فنظر الى ماريا وسألها بفظاظة، محاولاً اخفاء حرجه:
ـ هل أخبرت ليف؟
وحين هزت ماريا رأسها بالايجاب، بدا مرتاحاً:
ـ آسف يا ليف، لقد دهشت حين رأيته...
ـ اذا كنت لا تودين رؤيته، باستطاعة مايك ان يدعوه لزيارتنا في وقت آخر.
قالت ليف وهي ترغب في ذلك من كل قلبها:
ـ لا، لا يا ماريا. لا يمكنك ان تفعلي ذلك. فليس من سبب يدعونا لعدم التصرف بالشكل الطبيعي.
كادت ليف تضحك من كلماتها، لكنها علمت انها اذا بدأت في الضحك، لن تستطيع التوقف.
ربت مايك على ظهر ماريا قائلاً:
ـ حسناً، هل وضعت البوظة في الثلاجة يا عزيزتي؟
سألت ماريا:

- ومتى نسيت البوظة ؟
- لم تنسي ذلك ابداً.
ثم التفت الى ليف قائلاً :
- لا ادري ماذا كنت سأفعل من دونها.
بعد ذلك قال بجدية :
- أليست هناك أية فرصة لعودة العلاقة الطبيعية بينك وبين رايان؟
شحب وجه ليف، ثم عاد الى لونه ثانية.
- مايك!
نظرت ماريا بأسف وأضافت:
- آسفة يا ليف، لا تهتمي له. انت ماكر يا مايك، اذهب وراقب الاطفال.

دفعت زوجها خارج الباب وهي تعتذر مرة اخرى.

وصل رايان بسيارته المرسيدس الفضية، فتوترت اعصاب ليف حينما دخل المنزل. ولدهشة الأطفال، امسك رايان بماريا واحتضنها بينما ضحكت ماريا بعفوية. التفت رايان نحو ليف وعيناه تحدقان بكل تفاصيل قامتها. ثم قال بصوت عميق أثار مشاعرها :
- ليف، كيف حالك؟
- بخير والحمد لله.
قالت بتكلف، بينما كان ابنها لوك يقف امامها ويراقب رايان عن كثب.
- مرحباً!

ابتسمت ميلي من غير خجل، خلافاً لعادتها. فيما لاحظت ليف الشبه الكبير بينهما. وخصوصاً الطريقة التي يبتسمان بها ويحركان بها رأسيهما.

قال رايان مبتسماً :
- أهلاً بك يا ميلي!
ثم انتقل بابتسامته الى ابنه وأضاف:

ـ مرحباً يا لوك!
قال لوك من دون ان يبتسم:
ـ مرحباً.
سأل مايك ببساطة وهو يسير نحو المطبخ:
ـ ما رأيك بتناول البوظة المثلجة يا صديقي؟
ثم عاد وقدم الى رايان زجاجة مثلجة قائلاً:
ـ تعال نجلس في الحديقة الخلفية ريثما تنتهي النساء من تجهيز الطعام.
راقبت ليف ظهر رايان فيما هو يلحق بمايك، حيث بدا قوياً بسرواله الفضفاض ذي اللون الداكن وقميصه الازرق الذي أضفى على شعره لمعاناً متموجاً بين الزرقة والسواد.
لحق الاطفال بالرجلين الى الحديقة، فيما بقي لوك الى جانب والدته.
ـ اذهب يا لوك.
دفعت ليف ابنها وأضافت:
ـ سيكون الغداء جاهزاً بعد قليل.
سار لوك على مضض خلف الآخرين، بينما سألت ماريا بهدوء:
ـ متى ستخبرينهما بالحقيقة يا ليف؟
ـ لا أدري يا ماريا. انا قلقة بشأن لوك الذي يحتقر رايان سلفاً. اعتقد ان كلمة «يحتقر» قاسية جداً. لكن الذي أقصده هو انه يشعر بالعداء السائد بيني وبين رايان، الأمر الذي يقلقه. يجب ان أخبرهما الحقيقة قبل ان يقدم على ذلك انسان آخر.
هزت ماريا رأسها بتعاطف وقالت:
ـ وكيف تظنين ستكون ردة الفعل لديهما؟
هزت ليف كتفيها وقالت:
ـ لست أدري. انا تحدثنا عن... عن والدهما من قبل، وهما يعلمان انني لست أرملة، وانني ووالدهما قد انفصلنا. لذلك أرجو

ان يتقبلا كون والدهما ورايان شخصاً واحداً. أعرف انني جبانة لانني أؤجل ذلك. وكم ارغب لو انه لم يعد يا ماريا، حيث كنا نعيش حياة هانئة. اما الآن، فان كل شيء يتخبط في الفوضى. لا استطيع أن إفهم لماذا عاد.

قالت ماريا بلطف:

- ألا تستطيعين ذلك يا ليف؟

ثم أضافت:

- كنت أفكر انه يهتم بك اكثر من أي شيء في تلك الحياة الصاخبة التي ارادها والده له. ربما عاد من أجل ان يراك ويرى الطفلين مرة أخرى.

ابتسمت ليف ابتسامة ساخرة وأجابت:

- هذه نكتة! لو كان يهتم بنا لما كان بحاجة الى ثماني سنوات لاكتشاف ذلك، ولو لم يكن يفكر بنفسه لما غادرنا مطلقاً.

فتحت ماريا فمها للاجابة، لكنها عادت وأغلقته ثانية، واتسعت عيناها حين دخل رايان المطبخ. فبدت الغرفة الصغيرة أكثر صغراً.

قال رايان مخاطباً ماريا:

- ارسلني مايك لاحضار المزيد من البوظة وطلب الاسراع في تجهيز الطعام.

فهل كان يستمع الى الحديث الذي جرى بينهما؟ فكرت ليف. وحين التفتت نحوه، رأت البرود يملأ عينيه. ومن خلال الغضب الذي بدا على وجهه، شعرت ليف انه استمع الى حديثهما كله. فارتجفت قليلاً. وفي أي حال، لماذا تهتم له؟ انه يعرف شعورها نحوه، بالاضافة الى انه يستحق ذلك.

مر عيد ميلاد صوفي الصغيرة من دون أية حادثة. حاولت ليف ان تتناول الطعام اللذيذ الذي جهزته ماريا بشكل طبيعي، وان تمرح مع الاطفال، وهي تقنع نفسها بعدم أهمية وجود رايان. فكانت لا تنظر ناحيته الا حين تخفق في ذلك. شعرت بألم شديد يعتصر قلبها ويملأ

رأسها حتى احست انها ستجن اذا لم تلمسه. كل ذلك كان يجري في اعماقها ووراء تعابير وجهها المدروسة.

باستطاعة رايان ان يجتذب الطيور عن الأشجار حين يكون مرحاً. وسرعان ما جعل الاطفال يضحكون للقصص التي حدثت معه في فيجي، حتى ان لوك كان يستمع اليه بانتباه وشوق لم يستطع اخفاءه. الا ان ليف وحدها كانت تتهرب من طرح الاسئلة، مع انها كانت تفكر في كل كلمة يقولها.

سأل مايك رايان:

- منذ متى اشتريت الميد نايت بلو؟

قطبت ليف حاجبيها وهي تفكر انها فقدت جزءاً من المحادثة.

- من، أو ماذا يكون الميد نايت بلو؟

نطقت ماريا بالسؤال الذي كان يجول في خاطر ليف.

أجاب مايك:

- انه مركب رايان. ألم أخبرك عنه؟ انه المركب الفخم ذو اللون الأزرق الراسي في الخليج.

التقت عينا ليف بعيني رايان وعلامات الاستفهام تتزاحم في رأسها. كيف استطاع ان يشتري مركباً فخماً كهذا؟ ربما كان هذا المركب هو جزء من أسطول والده، وبالتالي ليس ملكاً له. ليس من المستغرب ان لا يجده جويل، فرايان يقيم في مركبه.

قال رايان وعيناه تتركزان على مايك:

- قمت بتشييده في سيدني. في الواقع، كنت اتمنى الخروج معك ذات يوم، مع اني أعرف المنطقة جيداً. ولكن بعد مضي ثماني سنوات، أفضل الخروج معك للاطلاع على حدود المنطقة.

- سأكون سعيداً جداً بقيادة هذا المركب الرائع.

لمعت عينا مايك بحماس وأضاف:

- متى تنوي الخروج؟

- عندما تجد الوقت ملائماً. أحضر ماريا والاطفال معك.

نظر مايك الى زوجته قائلاً:
ـ حسناً، لدي عطلة في نهاية الأسبوع. وهذه أول فرصة أحصل عليها منذ سنوات.
ـ حسناً، ما رأيك بنهار الغد؟ يمكننا قضاء ليلتنا والعودة بعد ظهر الاثنين.
التفت مايك نحو زوجته قائلاً:
ـ سيكون ذلك رائعاً! ما رأيك يا حبيبتي؟
ابتسمت ماريا للرجلين وأجابت:
ـ ستكون عطلة ممتعة!
لمعت عينا دينو بدهشة وقال:
ـ هل يمكن ان يأتي لوك معنا؟
بدا القلق فجأة على وجهي ماريا ولوك. لكن رايان التفت ببساطة نحو ليف وقال بصوت لا أثر لأي تعبير فيه:
ـ سأكون مسروراً برفقتك مع الطفلين.
ـ لا ادري...
قالت ليف حين فاجأتها ميلي وهي تقول:
ـ أرجوك يا أمي، دعينا نذهب. سوف تكون نزهة رائعة. وأنت تعرفين كم كان أخي لوك يحب الابحار مع عمي جويل!
لم يظهر على وجه لوك أي تعبير ينبىء بقراره بشأن الرحلة. فمن ناحية، كان يشعر انه يجب ابقاء مسافة ما بينه وبين هذا الغريب لسبب يجهله. ومن ناحية أخرى، كانت لديه رغبة شديدة للابحار في أكبر مركب رآه في حياته. فمركب العم جويل كبير، ولكن ليس في مثل حجمه. قال من دون ان يستطيع مقاومة ارتكاب هذا الذنب البسيط:
ـ انا أرغب في الذهاب ايضاً يا أمي.
قال مايك وهو يفرك يديه:
ـ اذن، اتفقنا. اني انتظر يوم غد بفارغ الصبر. في أية ساعة

نلتقي؟
- عند الساعة السابعة والنصف تقريباً.
بدا مايك متحمساً مثلما بدا الاطفال وهو يقول:
- عظيم! سنمر لاصطحاب ليف والتوأمين كي لا تأتي بسيارتها.
سألت ليف وهي تنظر الى الزر الأعلى من قميص رايان:
- وهل يتسع المكان لنا جميعاً؟ أقصد اننا سبعة، اضافة اليك أنت.
أجاب رايان:
- وملاحين آخرين. نعم، فالمكان متسع جداً، وقد اعتدت ان انام هناك. احضري معك بدلات السباحة فقط. لدي جميع أدوات الصيد. ومن المستحسن ان تأتي بأغطية لاستعمالها في حال برودة الطقس.
سألت ماريا:
- وماذا بشأن الطعام؟
- لا تقلقي بشأن الطعام. فانا متموّن بشتى أنواع الاطعمة. وباستطاعة الأولاد اصطياد بعض السمك للعشاء اذا ما اضطررنا الى ذلك.
ابتسم رايان وهو ينظر الى لوك ودينو.
تم الاتفاق على كل شيء. فقامت ليف وماريا تنظفان الصحون، بينما جلس الرجلان يشربان القهوة. نظرت ماريا مرة أخرى الى ليف قائلة:
- انه تغيّر، أليس كذلك يا ليف؟ انه تغير نحو الأفضل. كان شديد الثقة بنفسه، لكنه الآن يبدو أكثر انسانية. اظن انني لا أجيد التعبير عن نفسي. لكن حين تعرفت اليه قبل ان اتزوج مايك، لم يرق لي كثيراً. اذ كان دائماً ساخراً ومغروراً وكأن كل شيء يسبب له السأم والضجر. الا انه تغيّر كثيراً الآن.
- ربما تعلّم انه يستطيع تحقيق نتائج أفضل من خلال المداهنة!

ـ هل تعتقدين ذلك؟ يجب ان تعترفي انه وسيم مثلما كان دائماً.
غسلت ماريا آخر صحن، وحين لم تبد ليف أية ملاحظة، التفتت نحوها معتذرة:

ـ لست سوى حمقاء لأتكلم عنه بهذه الطريقة. أظن انه من الصعب ان تلتقي به ثانية.

ثم جففت يديها وسألتها:

ـ هل ستأتين للابحار معنا غداً؟ اقصد انه يمكننا البقاء في المنزل، ويذهب مايك معه...

ـ كلا يا ماريا! لا تكوني حمقاء. فمن النادر ان تحصلي على عطلة تقضينها مع مايك، ولن افكر ابداً في افساد تلك العطلة. كما ان التوأمين يصرّان على الذهاب.

ثم حاولت ان تبتسم وهي تتابع:

ـ سأبقى مع الآخرين قدر الامكان لأننا لا نتناقش الا حين نكون على انفراد.

جاء صوت مايك من الغرفة المجاورة ليدل على بحثه الطويل غير المجدي.

ـ ماريا، اين صورة كرة القدم القديمة التي تجمعني ورايان؟

ـ من الأفضل ان اذهب وابحث عنها بنفسي قبل ان يعبث مايك بغرفة الجلوس. سأعود بعد لحظات كي اساعدك في توضيب الصحون.

التقطت ليف صحناً آخراً من دون وعي وبدأت تجففه ببطء. في أي مأزق تضع نفسها؟ ان قضاء يومين في المركب مع رايان سيستنفد صبرها، وتمنت لو انها تستطيع التملص من ذلك. سيكون ذلك أفضل حل. الا انها تساءلت، منذ متى تتصرف بتعقل حين يكون رايان موجوداً؟ سيصاب التوأمان بالخيبة ان هي رفضت الذهاب، كما انها لن تسمح لهما بالذهاب بمفردهما. سيتمتع لوك بالنزهة كثيراً، فهو يحب الابحار، وربما جعله حبهما المتبادل للبحر يتغلب على

العداء الذي يشعر به نحو والده.

- انك جففت هذا الصحن ثلاث مرات!

أيقظها صوت عميق من افكارها التي تعذبها. فوضعته على الطاولة لتلتقط صحناً آخر.

قال رايان بهدوء:

- اكراماً لله يا ليف انظري الي على الأقل. فأنت تتجاهلين وجودي كل الوقت.

رفعت عينيها لتستقران عليه:

- وهل ذلك يريحك؟

جاء صوتها جافاً وبارداً.

- كلا، لا يريحني!

ثم تقدم نحوها قائلاً:

- ستثابرين على اثارة غضبي، لذا احذرك بانني لن أكون مسؤولاً عن أعمالي.

بقيت ليف تراقبه ببرود، بينما كان قلبها يعصف داخل صدرها:

- ومتى كنت كذلك؟

ثم وضعت الصحن مكانه واردفت:

- انظر يا رايان، نحن ضيفان لدى مايك وماريا، وأفضّل ان لا نزعجهما. ارجوك، دعني وشأني.

انحنى ساخراً وقال:

- مثلما تريدين يا سيدة دانيسون.

ثم تابع هازئاً:

- لكنني أفضل ان لا تناقشي أمر علاقتنا مع ماريا أو مع أي شخص آخر.

اذن كان يستمع الى حديثها مع ماريا قبل الغداء. ابتسمت بمكر قائلة:

- لم أناقش مع ماريا غير ما هو شائع في المنطقة. من المؤسف انك

لم تطلع على الشائعات التي سرت بعدما رحلت. من المؤكد انك لم تنس كم من مرة خلّفت طُعْماً ملائماً للأقاويل. كنت تسرد أمام الجميع كل التفاصيل التي أدّت الى الخلاف والى رحيلك، رغم ان أبوينا حاولا اخفاء الأمر وابقائه طي الكتمان.

عند ذلك تدفق الألم والذل الذي عانته في تلك الأيام.

ـ أنت...

كاد رايان يخطو نحو الطاولة وعيناه تتأججان غضباً، عندما دخلت ماريا الى المطبخ وقالت:

ـ أخذ مايك كتاب الصور وذهب يبحث عنك في الخارج.

توقف رايان لدى سماعه صوت ماريا، وكان باستطاعة ليف ان ترى انه يحث عضلاته المشدودة على الاسترخاء.

ـ نعم، من الأفضل ان أخرج وراءه. ليس من شيء يثير الضحك سوى التطلع الى الماضي.

قال باستخفاف وغادر الغرفة.

نظرت ماريا من الباب الى وجه ليف الذي كساه الاحمرار وقالت:

ـ ان الجو خانق هنا، ما الذي أثار غضبه؟

هزت ليف كتفيها وقالت:

ـ آسفة يا ماريا. أظن انها الحالة التقليدية التي تسود عندما تلتقي القوة التي لا تقاوم بشيء لا يتحرك!

٥- المركب والجزيرة

صعدت ليف الى سيارة آل كوستيللو في صباح اليوم التالي وهي تشعر بما يشبه الرضوخ اللامبالي. تحدث الاطفال بحماس فيما بقي الكبار تائهين في افكارهم. شعرت ليف وكأنها وضعت في عصّارة محكمة، حيث كان لقاؤها مع رايان في منزل آل كوستيللو بداية لأمسية عاطفية قاسية.

فقبل ان يأتي جويل بنصف ساعة لاصطحابها الى العشاء، اتصل مارتن طالباً منها الذهاب معه في نزهة. وحين رفضت ليف لأنها مرتبطة بموعد سابق، بدأ يسأل ليكتشف اين هي ذاهبة وبرفقة من. فقالت ليف بانزعاج انها ستخرج في نزهة بحرية مع آل كوستيللو، مما دفعه للسؤال متى اشترى آل كوستيللو مركباً، فوجدت ليف ان

الوقت حان لتشرح له أمر رايان. لكنها لم تفعل، بل قالت انها ذاهبة في مركب يملكه صديق لمايك.

وكالعادة، جاء جويل لاصطحابها الى منزل آل دانيسون حيث أمضت عدة ساعات لم يذكر خلالها رايان الا عندما كانت على وشك العودة. كما انه لم يأت للعشاء، برغم ان ليف كانت تتوقع قدومه بين الحين والآخر. ومما يدعو للدهشة ان لوك هو الذي ذكر اسمه حين أخبر جده عن النزهة البحرية التي سيقومون بها.

مناقشة أمر رايان مع جويل وهما في طريق العودة الى المنزل كانت امراً مستحيلاً بوجود الطفلين. لكن جويل قال انه التقى رايان في المرفأ حين كان يغادر مركبه الفخم.

ولما وصلت ليف الى المنزل بأمان ومن دون ان ترى رايان، كانت تعاني من الضيق لأسباب ترفض تحليلها. حتى ان غضبها تحول الى سلفها جويل الطيب القلب الذي تحدث اليها عن روعة مركب رايان، فيما كانت تقلب في ذهنها لوحات مزعجة من الماضي.

انها الآن مقبلة على قضاء يومين مع رايان، وهذا آخر ما يجب ان تقوم به. فهي تعلم ان باستطاعته استمالتها بسهولة.

عندما وصلت الى المرفأ في صباح اليوم التالي، وقعت عيناها على المركب الجميل الذي كان يعلو وينخفض في الماء. استجمعت شجاعتها وترجلت من السيارة حاملة حاجياتها.

أوقف مايك سيارته. وبعد ان أنضم اليهم، ظهر ثلاثة اشخاص على متن المركب. ثم جاء رايان بسرواله القصير، وصدره المكشوف يلمع تحت اشعة الشمس. وفجأة شعرت ليف انها عرضة للتأثير. فقدت كل ميل للقتال. وقفت تراقبه والألم يعتصر قلبها الى ان اصبح غير محتمل.

لم تدرك كم من الوقت مضى وهي واقفة مسمّرة في مكانها، لكن تهيؤ لوك للقفز الى ظهر المركب انتشلها من احلامها. كانت ترتجف حين أمسكته ووبخته لتهوّره. وكان رايان هو الذي تكلم:

ـ تمهل يا لوك، سننصب المعبر لنعبر بأمان الى المركب.

ثم تقدم رايان وتناول اغراض ليف وتابع:

ـ ساريكم اين ستنامون الليلة. دعوني اعرفكم بالملاحين: إلسي وروكو سوكونا.

وبعد ان تم التعارف بينهم، سار الجميع وراء رايان الى الغرفة الرئيسية. انها غرفة فسيحة جداً مزودة بأثاث ازرق اللون يناسب اسم المركب: ميد نايت بلو.

ـ يمكنك النوم في الغرفة الرابعة انت وماريا يا مايك. أما ليف والتوأمان، فيمكنهم النوم في الغرفة الواقعة في مؤخرة المركب. وستنام إلسي في السرير المنفرد.

قالت إلسي وهي تبتسم بإلفة لرايان:

ـ أنام في هذا السرير عندما لا أنام على متن المركب مع رايان وروكو.

شعرت ليف بنظرة ماريا السريعة، فالتفتت ثم دخلت الى مطبخ المركب متظاهرة بعدم الاهتمام. لكنها في الحقيقة ساءلت نفسها: اذا كان رايان اختار تلك الفتاة للتسلية، فان عليها عدم تأنيبه لأنها تعلم انه ليس من جبلة النسّاك.

جاء صوت رايان محذراً من خلفها بينما كان يرشدها الى الغرفة الواقعة في مؤخرة المركب:

ـ انتبهي للدرجات.

كانت غرفتها مجهزة بشكل أفضل من الغرفة الرئيسية. انها تحتوي على سريرين واسعين ولها باب يؤدي الى حمام خاص بها. بدأ لوك وميلي يلهوان على الأسرّة، بينما التفتت ليف وتناولت الحقائب والأغطية من رايان الذي كان واقفاً يتأملها، وقد اقترب منها اكثر مما توقعت. وبدا ان تنبهها لوجوده يمتد ليملأ الغرفة. شعر رايان ان شرارة كهربائية تنطلق من عينيها العميقتين، فأسرعت تبتعد عنه وتضع الأغطية على السرير.

وقف رايان يتأملها دقيقة، ثم التفت نحو الباب قائلاً:

ـ اصعدي الى متن المركب كي يرتدي الاطفال بدلات السباحة قبل ان نغطس.

قالت ميلي وهي تداعب غطاء السرير الليلكي الناعم:

ـ أليس المركب جميلاً يا أمي؟

وقال لوك:

ـ ان الغرفة فخمة والسجاد الذي يكسو ارضها ثمين جداً، أليس كذلك؟ لن نستطيع ان نبقى بثيابنا المبللة هنا.

أومأت ليف موافقة، فقال بمرح:

ـ اعتقد انه رجل طيب. ويبدو لي انه ثري جداً، أليس كذلك؟ اقصد ان أحد الاولاد في المدرسة قال ان عمي جويل ثري، الا ان المركب هذا هو اكبر من مركبه.

ـ هيا بنا نصعد الى متن المركب.

اشارت ليف برأسها وافسحت لهما الطريق ليسيرا أمامها.

وسرعان ما ارتدى الاطفال الأربعة بدلات السباحة، وكانوا مربوطين الى المركب كي لا يغرقوا في حال اهتياج البحر. جلست ليف وماريا تراقبانهم، فيما كان روكو يلقي بهم الى البحر.

مدت ليف ذراعيها في الشمس وهي تتنهد بارتياح وسعادة لقيامها بهذه النزهة. كانت ترتدي سروالاً قصيراً داكن اللون وتربط شعرها الى الوراء، فيما كان النسيم يداعب جزءاً من شعرها المنساب على جبينها. جلست ماريا مع ابنتها صوفي الى جانبها وهي تشعر بالابتهاج والراحة.

قالت ضاحكة:

ـ ان الصبية يقضون وقتاً ممتعاً. أعني الصبية الكبار.

التفتت ليف الى المقود حيث وقف رايان ومايك يرشدان لوك ودينو الى طرق القيادة الرئيسية في المركب. وبعد قليل، استلم روكو القيادة بينما توارى رايان ومايك عن الانظار ليدققا في الخرائط.

جلست السي مقابل ماريا وليف وعيناها تتحركان بابهام من واحدة الى أخرى. ثم قالت وهي تبتسم:

- لم أعتقد ان في اوستراليا أماكن جميلة مثل فيجي!

اعترفت ليف انها فتاة جذابة ومثيرة بشعرها الأسود الأجعد وبشرتها الداكنة الناعمة.

- كان رايان يقول دائماً ان المنطقة جميلة جداً. الا اني لم أصدقه.

أجابت ماريا بسرور:

- أجل، انها جميلة. انا سعيدة لأن مايك لم يغادرها بعد زواجنا. ان معظم الشبان يفعلون ذلك أيضاً.

هزت الفتاة الاخرى رأسها:

- رايان فعل نفس الشيء. منذ متى تزوجت انت ومايك؟

أجابت ماريا ضاحكة:

- منذ ثماني سنوات. بالرغم من ان هذه المدة تشعرني بكبر سني.

أومأت السي برأسها ثم التفتت الى ليف قائلة:

- وماذا بشأنك؟ اسمك ليف، أليس كذلك؟ انه اسم غريب.

قالت ليف وهي تبحث عن موضوع آخر تتهرب بواسطته من سؤالها:

- انه اختصار لأسم اوليفيا.

ابتسمت السي وقالت:

- آه، اوليفيا. اسم لطيف جداً. اعتقد انك تزوجت في نفس الفترة، اذ ان طفليك يبلغان السن ذاته. هل يعمل زوجك في الملاحة أيضاً؟

وفكرت: من الواضح ان رايان لم يخبر صديقيه أي شيء عنها وعن التوأمين.

- كلا.

ثم أضافت من دون ان تنظر الى عيني ماريا وهي تشعر بالجبن مرة ثانية:

ـ لقد افترقت عن زوجي منذ فترة طويلة.
ـ ان ذلك سيء للغاية! هل انت صديقة ماريا؟
ـ نعم نحن صديقتان منذ عدة سنوات.
ـ كنا جميعاً اصدقاء قبل ان يغادرنا رايان.

توقفت عينا السي سوكونا على ليف ثانية. ابتسمت ليف في اعماقها وهي تود لو ان لديها الجرأة للتأكيد لهذه الفتاة بأن أية علاقة تربطها برايان لن تكون خطراً عليها.

ـ أرجوك يا أمي، أريد ان أشرب.

كان طلب ميلي فرصة مناسبة لمغادرة المكان. فامسكت بيد ابنتها ونزلت الى غرفتها. التفت مايك ورايان بعيداً عن الخرائط التي كانا ينظران اليها اثناء مرور ليف وميلي.

ـ اريد كوب ماء لكي تشرب ميلي.

أجاب رايان وهو يعود لينظر الى خرائطه:

ـ يوجد عصير في الثلاجة.

وفجأة، اخذت ليف تتخيل رايان وهو يضم الفتاة الفيجية بذراعيه، فأصابتها الدهشة. فهل هي تغار منها؟ تساءلت فيما كانت ميلي تتناول كوب العصير. لا! لن تغار من أحد بعد كل هذه المدة.

سار المركب ببطء، فوقفت ليف متمسكة بالثلاجة كي لا تتعثر وتقع. اخذت تسترق النظر الى رايان وهو منكب على الطاولة. لم تستطع ان تحول عينيها عنه، وفجأة لم تعد ترغب في ذلك. فشعرت بالضيق، ويتلبّد الجو بينهما ثانية.

التفت رايان صوبها وكأنه أحس بنظراتها. فالتقت عيناه الزرقاوان بعينيها. وعادت بهما الذاكرة في تلك اللحظة الى الوقت الذي كانا يقودان الدراجة في المنتزه. كانت عيناه جريئتين، وكانت عيناها تضرعان. ثم التقت عيونهما في رقصة اقترب خلالها ليخطف منها قلبها. كانا يركضان معاً على الرمال، ويسبحان في المياه الزرقاء ويتسابقان على طريق الشاطىء بسيارة السباق والريح تكاد تقتلع

شعرهما. ثم يسيران جنباً الى جنب أو يتشاركان الغداء. وكانا يلهوان تحت ضوء القمر، غير عابئين بمرور الوقت او بنتائج تصرفاتهما.

يا الله! لماذا تهدم كل شيء؟

انهمرت الدموع من عيني ليف وظنت في تلك اللحظة ان الحزن واضح في عيني رايان.

اشاحت ليف بعينيها عن عيني رايان، وراحت تغسل كوب ميلي وتعيد العصير الى الثلاجة. كما عاد رايان ينظر الى خرائطه، ولم يتطلع اليها حين مرت بجانبه.

عاد رايان ومايك الى قيادة المركب حين اقترب من جزيرة كرافن. هذه الجزيرة الاستوائية التي تتوسطها الاشجار الخضراء الوارفة الظل وتحيط بها الرمال البيضاء. ومهما يكن الشخص الذي اشتراها من السيدة كرافن، فانه انجز بالتأكيد صفقة رابحة لأنها احدى جزر الكمبرلاند الداخلية المحمية من المحيط الباسيفيكي بالجزر الشرقية الكبرى.

ولّت مجموعة من الطيور هاربة من الاشجار لدى ظهور المركب. فقام روكو ورايان بانزال الاشرعة بسرعة، فيما تسلم مايك دفة القيادة استعداداً للرسو في الجزيرة.

هل ينوي رايان النزول في تلك الجزيرة؟

من الواضح انه لم يعلم بعد ان الجزيرة لم تعد ملكاً للسيدة كرافن، وان هناك لوحة كتب عليها: املاك خاصة، ممنوع الدخول!

حمل مايك الاطفال وناولهم الى رايان، ثم التفت نحو ليف وماريا يحثهما على الاسراع والتنبه اثناء نزولهما الى اليابسة. نظرت ليف نحو رايان وقالت:

ـ نحن ندخل املاكاً خاصة يحظر الدخول اليها.

فأجابها:

ـ لا أرى أي مسؤول عن تطبيق القانون هنا. اضافة الى ان

السيدة كرافن لا تمانع في مجيئي الى جزيرتها ابداً.
- لكنها باعت ممتلكاتها هنا. لقد اخبرني جويل بذلك. كما ان والدك. . .
توقفت ليف عن الكلام حين شعرت ان الجميع ينظرون اليها.
- هل كان أبي غاضباً لذلك؟
انهى رايان كلامه من دون اي انزعاج:
- يمكنني ان أتصور ذلك.
ثم تابع سيره مضيفاً:
- يمكننا ان نسبح هنا، فالمكان ليس عميقاً.
ثم مشى بزهو أمام اللوحة الرسمية من دون ان يعيرها اي اهتمام.
وفيما هي واقفة على الشاطىء، نظرت ليف الى ماريا التي كانت تبدل ملابسها ببدلة سباحة سوداء:
- انها فكرة رائعة. فالمياه تبدو صافية ومثيرة.
بعد ذلك قامت المرأتان بمساعدة الاطفال في تبديل ملابسهم. ثم تبعتهم ليف الى المياه وهي ترتدي بدلة سباحة زرقاء ذات قطعتين. وكانت عينا رايان تراقبانها وهي ذاهبة للسباحة.
وبينما كان الآخرون يسبحون، سارت ليف وماريا على الشاطىء واخذتا تجمعان الصدف مع الاطفال. وعندما رأت ليف لوحة ثانية تحظر الدخول الى الجزيرة، تساءلت:
- ترى، من هم الذين اشتروا الجزيرة؟
لم تكن لديها اية فكرة عن ذلك. فما الذي يدفعها الى التفكير ان هناك اكثر من مالك؟
- اخبرني مايك ان عمك طار صوابه حين سمع ان الأملاك بيعت.
قالت ماريا ذلك وهي تحاول ان تحمي عينيها من الشمس.
ضحكت ليف وقالت:

ـ ان عمي بارع في فنون الغضب.

ـ ان هذا المكان يحمل اجمل ذكرياتي. اعتدنا ان نأتي الى هنا لحضور الحفلات حين كنت في سن المراهقة. واعتاد رايان ان يأتي بنا في مركبه مثلما فعل اليوم. كانت أياماً جميلة. كنا نرسل رايان لاستئذان السيدة كرافن لأنه يستطيع التحدث واقناع أي كان وفي أي موضوع.

زمت ليف شفتيها بمرارة. اذ كانت تعلم كل ذلك.

ضحكت ماريا وهي تنظر الى كوخ قديم مبني على الجزيرة، ثم قالت:

ـ وفي ذات يوم، دعا رايان السيدة كرافن لتكون مرافقته. كانت في عامها الستين آنذاك. وقد استطاع ان يوفر لها وقتاً رائعاً. اذ راحت تسبح، ثم ساعدتنا في اعدادِ اللحم المشوي. ذلك اليوم كان من أجمل أيام حياتي. كلنا شعرنا بالحب الشديد نحو السيدة كرافن. فهي ليست كما يدّعون عجوزاً مشاكسة.

أجابت ليف موافقة:

ـ لا اظن انها تقول كل ما يجول في خاطرها. وفي أي حال، كانت لطيفة معي دائماً.

ـ ومعي أيضاً. قالت لنا مرة ان بامكاننا المجيء الى الجزيرة متى نشاء. لم اندهش من كون السيدة كرافن قد أحبت رايان أيضاً. فهذا ما فعلته كل امرأة في المنطقة بين سن السادسة وسن الستين.

نظرت ماريا بسرعة نحو ليف التي احمر وجهها قليلاً:

ـ آسفة يا ليف، فأنا كثيرة الكلام.

ضحكت ليف ضحكة صغيرة وقالت وهي تحاول ان تبدو مرحة:

ـ كان ذلك منذ زمن بعيد، حين كان رايان شاباً وسيماً.

تطلعت ماريا الى ليف عن كثب:

ـ أعني انه ما يزال وسيماً. لا بل انه الآن اكثر وسامة من ذي قبل. ألا ترين ذلك؟

هزت ليف كتفيها وهي تحدق باهتمام في صدفة غريبة التقطتها من الشاطىء.

ثم تابعت ماريا حديثها:

ـ كان يقضي أوقاتاً ممتعة. اذ كان يملك المركب، ويملك كل شيء. لكن مايك قال ان والده استعاد المركب بعدما غادر رايان المنطقة.

قالت ليف من دون اكتراث:

ـ كان بحوزته بعض المال الذي ورثه عن عائلة أمه.

ـ لا ادري ماذا عمل خلال السنوات الماضية. ومهما يكن قد فعل، فانه دائماً رجل ناجح.

اومأت ليف برأسها وقالت:

ـ يجب ان نعود. فقد حان موعد الغداء.

انطلق الرجال برفقة السي لاختيار بقعة ملائمة للصيد. ولم يكن على ليف وماريا سوى حث الاطفال للذهاب الى النوم، لأنهم يشعرون بالنعاس الشديد، فاستغرقوا في النوم بسرعة.

وعلى عكس ذلك، لم تستطع ليف الرقاد. وحين غلب النوم ماريا، قامت ليف وفرشت شيئاً على متن المركب لتأخذ حماماً شمسياً بعدما طلت جسمها بزيت واق من حرارة الشمس.

قلّما كان المركب يتحرك. ولم يكن يُسمع أي صوت سوى حركة النسيم أو صوت طائر ينطلق مغرداً في الجو.

لم يكن أحد ليراها سوى ماريا اذا ما استيقظت. وكانت تستطيع ان ترى الرجال من طرف الجزيرة حين يعودون من الصيد.

ألقت رأسها بين ذراعيها، الا ان دفء الشمس وحركة المركب الخفيفة فعلت بها فعل السحر. فاستغرقت في النوم ولم تفق الا حين شعرت بشيء يلامس ظهرها ببطء. تطلعت لتجد رايان جاثماً بالقرب منها. نهضت لتبتعد عنه، الا انها تذكرت ان بدلة السباحة مفتوحة من الخلف، فحاولت تثبيتها بارتباك. لكنه قام وساعدها

وهو يقول ببرود:
- يمكنك ان تبقيها كما هي ان اردت ذلك.
نظرت اليه بحدّة. الا انه ابتسم بأسف وثبت البدلة كما يجب.
- لماذا عدت بسرعة؟
جاء صوتها هشاً، رغم انها تكلمت بنعومة لكي لا تزعج ماريا والاطفال.
- عدت لأحضر صنارة صيد أخرى. اذ ان السي تجلس عاطلة عن العمل، ففكرت ان من الافضل المجيء بصنارة ثانية لنسرع في الصيد.
رفعت حاجبيها وهي تحاول ابعاد نظراتها عن صدره البرونزي القوي. الا انه ربض قريباً جداً منها، فتمنت لو تستطيع الابتعاد عنه. لكنها علمت انه سيلاحظ ذلك، ويعرف سبب ابتعادها، كما تخيلت التعبير الساخر الذي ستثيره حركتها.
قال وهو يشير الى صنارة ملقاة على متن المركب:
- الا تناولينني الصنارة؟
- حسناً، لا تترك السي تنتظر فيما يطوف السمك لالتقاط الطعم.
قالت دون ان تستطيع التخلص من نبرة السخرية الواضحة في صوتها.
- ماذا تقصدين؟
- لا شيء. ما الذي يعنيه ذلك؟
ابتعدت ليف بعينيها عن وجهه، ثم عادت تحدق به ثانية.
- انت لا تغارين، أليس كذلك؟
قالت بغضب:
- انا لا اغار من أي كان او من اي شيء له علاقة بك يا رايان، وكلما اسرعت في طرد هذه الفكرة من رأسك يكون أفضل.
راحت ليف تسوي جلستها. الا انه تحرك بسرعة نحوها، فحجب أشعة الشمس وحرارتها عنها.

قالت وهي تصر على اسنانها بشدة وعيناها تنظران بغضب الى شعره الاسود:

ـ دعني اذهب!

قال باستهزاء، وعيناه تلمعان:

ـ كلامك يدعوني للذهاب، لكن عينيك تدعواني للبقاء.

ثم تحركت يده تلقائياً نحو كتفها الدافئة من جراء حرارة الشمس. فالتهبت وكأنها مسّت النار. وفيما هما يتعانقان، تمنت لو ان باستطاعتها اقناع الشمس بالمغيب مثلما تمنت ان تمنع رأسها من التحرك لاستقبال نظراته.

بدا ذلك كعقاب وتعذيب. الا ان رايان انزلق في تيار المشاعر التي عصفت بهما، وكانت يداهما تتحركان بشوق بالغ وكأنهما لم تلامسا ما يكفي.

قالت ليف وأنفاسها تتلاحق، محركة رأسها من جانب الى جانب:

ـ هذا جنون يا رايان. كلا يا رايان... لا نقدر... ماريا... الاطفال يمكن...

ـ تعالي معي الى الشاطىء.

جاءت كلماته منخفضة ناعمة لاقناعها بلطف.

ثارت ليف وهي تحاول مقاومته، وما لبثت ان هدأت. وما كاد رايان يقف ليسير الى جانبها حتى ظهر رأس ماريا وهي قادمة من داخل المركب.

ـ ليف؟

نادت بهدوء، ثم توقفت حين رأت رايان.

أصيبت ليف بالذعر مما فعلت. فقامت تسوي ملابسها وقد شحب وجهها حين شعرت كم هي ضعيفة وغير قادرة على مقاومته.

قالت وانفاسها تتلاحق، وشعرت بالاحمرار يغزو وجنتيها:

ـ أنا هنا يا ماريا.

أحست ماريا بالخجل حين رأت وجه ليف الأحمر وفم رايان المشدود.

التفت رايان هامساً كي لا تسمعه ماريا، واصابعه تفرك يدها الممسكة بحافة المركب:

- تعالي معي يا ليف.

نظرت الى التعبير المثير في وجهه، فتلاحقت خفقات قلبها ثانية. ثم سارت نحو ماريا من دون ان تنظر خلفها مرة ثانية.

كان رايان يوشك على الذهاب، وتحرك ليأخذ صنارة الصيد.

قالت ماريا وعيناها تتطلعان نحو ليف ورايان:

- قمت بتحضير الشاي. هل تود ان تشرب فنجاناً من الشاي؟

كاد يتجاهل سؤالها، لكنه تنهد ووقف بسرعة قائلاً:

- كلا، شكراً يا ماريا. سأعود من حيث أتيت.

ثم التقط الصنارة من دون التطلع نحو ليف. الا ان عينيها رافقتاه، قبل ان تتبع ماريا الى داخل الغرفة.

قالت ماريا بعدما اصبحتا وحيدتين:

- آسفة يا ليف. آمل ان لا أكون قد قاطعتكما.

أجابت ليف وهي تتصنع المرح:

- بالطبع لا. أين فنجان الشاي الذي كنت تتحدثين عنه؟

وقفت ماريا تحدق في صديقتها. فأطرقت ليف محاولة التهرب من نظراتها.

قالت ماريا بهدوء:

- لا تتهربي مني يا ليف. فأنت ما تزالين تحبينه، أليس كذلك؟

التفتت ليف غاضبة لتواجه ماريا، الا ان التعبير العاطفي البادي على وجهها ازال غضبها. فقالت بهدوء:

- انت مخطئة يا ماريا.

- لا تحبينه؟ لكن يبدو لي انكما كنتما في وضع يشير الى الحب.

اشاحت بوجهها لتخبىء الحمرة التي غزت وجنتيها وقالت:

ـ الحب؟ لم يكن حباً يا ماريا، بل مجرد رغبة قديمة.
ضحكت ماريا قائلة:
ـ ان ذلك مثير حقاً!
اطلقت ليف زفرة حادة بضيق وقالت بيأس:
ـ كان يجب الا ارافقكم في هذه الرحلة يا ماريا، لأنني عرفت ان ذلك سيحدث.
ثم جلست الى الطاولة وهي ترتجف متابعة:
ـ كما انني لم اشعر بالراحة منذ ان عاد رايان.
قالت ماريا وهي تجلس قبالتها:
ـ لكنك كنت تعلمين انه سيعود عاجلاً أم آجلاً.
ـ لم أفكر في ذلك مطلقاً. اتمنى...
توقفت ليف عن الكلام وهي تغمض عينيها بشدة على ذكريات تلك الدقائق التي قضتها معه.
ـ الا تعتقدين ان باستطاعتك خوض التجربة معه ثانية؟ فالأمر يستحق المحاولة اذا ما كنت تشعرين بشيء نحوه.
هزت ليف رأسها قائلة:
ـ كلا، ان رايان دانيسون الذي وقعت في حبه ليس موجوداً خارج مخيلتي. علمت ذلك منذ ثماني سنوات. تخيلته رجلاً عظيماً، ولم يخطىء حين أخفق في التصرف كرجل عظيم. لكنه لم يحاول حتى... ان... لم يكن يريد ان يتزوجني في البداية...
ـ لكنه تزوجك...
قالت ليف بمرارة:
ـ تزوجني لأن والده ووالدي أرغماه على ذلك.
ـ لم يكن ليتزوجك لو لم يرغب في ذلك يا ليف. فهو آخر من يدفعه أحد للقيام بمثل هذه الخطوة بالقوة، حتى ولو كان الموت هو البديل.
وحين لم تعلق ليف على هذا الكلام، وقفت ماريا وسارت باتجاه

المطبخ وهي تقول:
ـ سأحضر الشاي.
جلست ليف مكتئبة دقائق قليلة، ثم قامت وهي تتنهد لتحضر فنجانين. وفيما هي تنهض عن الطاولة، داست بقدمها على طرف خريطة بدا انها سقطت سهواً. فانحنت لالتقاطها وأعادتها الى مكانها وهي تعتقد انها الخريطة التي كان رايان ومايك يدققان فيها. دفعها فضولها الى النظر اليها. كانت تتوقع ان تجد خريطة بحرّية ترشد الى المواقع المحلية، لكنها كانت مخطط عمل. ألقتها ليف على الطاولة ووضعت السكّرية على أحد جوانبها لتبقى مفتوحة، وقد أثارتها الكلمات المطبوعة في الأسفل:
شركة رايان دانيسون، مع عنوانه في اوكلاند، نيوزيلندة.
كانت الخريطة مخططاً لسلسلة من الأبنية الصغرى ترتبط ببعضها البعض لتشكل مستوطنة كاملة.
مشت ماريا خلف ليف تتطلع من فوق كتفها.
ـ ما هذا؟
قالت ليف وهي تنحني اكثر:
ـ لست ادري. وجدت هذه الخريطة تحت الطاولة. يظهر انها نوع من... سلسلة من الشاليهات. انظري هنا، يبدو ان كل بناء هو وحدة متكاملة. هنا توجد بركة سباحة... وهنا ملعب كرة المضرب. يبدو ان هذا مخطط منتجع سياحي.
انحبست انفاسها فالتفتت الى ماريا ودهشتها تعكس ما تشعر هي به.
ـ افتحيها جيداً.
قالت ماريا وهي تبسطها على الطاولة لتنظرا الى صورة المشروع ككل وتابعت:
ـ ربما تكون جزيرة كرافن، لكن الجزء الأسفل اقتطع منها.

ولدى البحث في الخرائط الاخرى، وجدت ليف جزء الخريطة التي تريدها ففتحتها أمام ماريا لتتحقق منها.

قالت وهي تكاد لا تصدق:

ـ انها الجزيرة! لكن ما الذي يفعله رايان بهذه الخطط التي تشير الى بناء منتجع في جزيرة كرافن؟ من المفروض ان يمتلك الجزيرة كي...

سألت ماريا وهي لا تصدق:

ـ ليف، هل ذلك معقول؟

اومأت ليف برأسها وقالت:

ـ لا أصدق ذلك... اذ كيف يستطيع شراء الجزيرة؟ وكيف استطاع ان يقنع السيدة كرافن ببيعها له، في حين كانت ترفض أية عروض يتقدم بها والده؟

ـ ان رايان بارع في استخدام اساليب الاقناع الفعالة، وربما استمال السيدة كرافن وأقنعها ببيع الجزيرة له. أعتقد ان دانيسون الأب أيضاً شريك في الصفقة.

ـ لا، أنا متأكدة تماماً انه لا يعرف شيئاً عنها.

ثم تركت طرف الخريطة وهي تتمنى لو انها لم تعثر عليها.

٦- لقاءات لا تعرف النسيان

عندما استيقظ الأطفال، نزلوا الى الشاطىء يجمعون الحطب للشواء الذي كان رايان اقترحه في الليلة الماضية. ولم يمض بعض الوقت حتى جمعوا ما يكفي من الاغصان الجافة. بعدئذ ظهر الصيادون الذين حصلوا على صيد وفير، فقاموا بتجهيز النار لشواء السمك.

اخذت عينا ليف تبحثان عن رايان الذي عكست عيناه الزرقاوان ذكريات لقائهما بعد الظهر. لكن القسوة الباردة ظهرت على محياه قبل ان يشيح بنظره عنها ليشعل النار. عشرات الاسئلة كانت تجول في خاطرها، اسئلة عن نيّته الاقامة الدائمة في المنطقة، واسئلة عن مشاركته في خطط اعمار جزيرة كرافن. . . الا انها لجمت فضولها ولم

تنطق بأي منها.

كان السمك شهياً، فأكلوا حتى التخمة. فيما بدأت الشمس تنزلق وراء الأفق تاركة لوناً قرمزياً يغطي صفحات المياه المتراقصة.

أضاف مايك مزيداً من الخشب الى النار، فجلسوا يستمتعون بدفئها. عاد روكو الى المركب وأحضر الغيتار، حيث قاموا جميعاً بانشاد الأغاني حتى دب النعاس في جفون الأطفال، فقررت ليف وماريا اصطحابهم للنوم.

- عودي حين ينام الأطفال يا حبيبتي.

قال مايك وهو يتمدد على الرمال الدافئة، بينما حملت ماريا صوفي الصغيرة واتجهت نحو المركب.

وعندما حاولت ليف ان ترفع ميلي النائمة، تقدم رايان وأخذ الطفلة الصغيرة منها قائلاً:

- سأحملها أنا، هل ما يزال لوك مستيقظاً؟

- نعم.

أجابت وهي تضع ذراعها حول كتفي ابنها، بينما امسكت دينو باليد الأخرى.

انتظر رايان حتى غطت ميلي وقال:

- باستطاعة لوك ان ينام في الغرفة العليا.

بعد ذلك ساعده على الصعود قائلاً له:

- يوجد سلم هنا لتنزل عليه ان اردت. سأبقي النور مضيئاً في الممر. أراك في الصباح يا بني.

ربت رايان على كتفه بينما هز لوك رأسه وقد غلبه النعاس.

بدأ الألم يتسرب الى قلب ليف، فالتفتت بحدة نحو الغرفة الرئيسية تتبعها خطوات رايان الرشيقة. ثم قالت بعدما انضمت اليهما ماريا:

- أود البقاء على متن المركب لأكون الى جانب الأطفال ان هم استيقظوا في الليل.

قال رايان:

- انهم تعبون ولن يستيقظوا بسرعة.

- حسناً، لا أريدهم ان يسيروا بحثاً عني، ومن ثم يتعثروا ويقعوا.

قالت ليف وهي ترفض العودة الى الشاطىء الحالم، وخاصة الى جانب رايان الذي يثير ذكرياتها...

قالت ماريا:

- سأبقى معك يا ليف.

نظر رايان نحوها وهز رأسه قائلاً:

- حسناً، كما تريدان. سأطفىء النار ونعود جميعاً الى متن المركب.

قالت ماريا:

- ليس هناك ما يدعو الى ذلك.

- وأي سهرة ستكون هذه بجانب النار الرومنطيقية بعيداً عن نسائنا؟

اجاب رايان وعيناه تستقران على ليف، ثم توارى في الظلام.

كان الوقت متأخراً حين عاد الجميع وهم يرغبون في اطالة السهرة... فالنسيم العليل وتأرجح المركب البطيء وغناء روكو الساحر وهو يعزف على الغيتار، أثار روحاً حالمة تبعث على الاسترخاء في هذه الجزيرة الخلابة القابعة وسط المحيط.

أحست ليف بالحسد من السعادة التي تجمع بين ماريا ومايك. كان رأس ماريا يرتاح على كتف مايك وذراعها تمتد حول عنقه.

جلست ليف بمفردها وانتظرت بتوتر ان يتحرك رايان ويجلس بجانبها. لكنه بقي مكانه، اذ اختار ان يبقى وحيداً مثلها.

كانت تسترق النظر اليه، فيما كان متمدداً يراقب روكو وهو يمسك بغيتاره ويعزف ألحاناً شجية. كانت تلك النظرات السرية كافية لاثارتها. فتلاحقت خفقات قلبها وتهدجت انفاسها، فشعرت بحنين

عميق. اذ كانت دائماً تميل اليه. منذ ثماني سنوات، هامت به كفتاة مراهقة، وهي الآن تهيم به كامرأة ناضجة. ان قوة الانجذاب التي شعرت بها نحوه ملأتها رعباً. رعباً منه ومن نفسها.

نعم، لم تعد تلك المراهقة الساذجة. فهي الآن أكبر واكثر نضجاً. انها تعرف مدى الألم والاضطراب الذي يمكن ان يسببه لها رايان. وعدت نفسها بألا تسمح له بالاقتراب منها واخذت تقاوم العواطف المتصارعة داخلها. يجب ان تضع نفسها تحت المراقبة الدقيقة. فاذا كان رايان يعتقد ان باستطاعته النيل منها بسهولة مثلما فعل منذ ثماني سنوات، فانه ينبغي عليها ان تبرهن خطأ ذلك الآن. لكن ماذا بشأن ما حصل على متن المركب قبل بضع ساعات؟ سأل صوت من داخلها. انها بالكاد تلام، أجابت نفسها، اذ انه افقدها صوابها. فقد كانت نائمة، وبالتالي غير واعية تماماً. وهي لن تسمح له بالاقتراب منها ثانية.

بعد ذلك بدأت الخريطة التي اكتشفتها صدفة تقلق تفكيرها. فهل يمكن ان يكون رايان المالك الجديد لجزيرة كرافن؟ بدا ذلك مستحيلاً، لكن اسمه موجود في اسفل الورقة. والأهم من ذلك، كيف يقوم بمثل هذا العمل من دون اطلاع والده؟

كان رايان يعلم مثلما يعلم الجميع مدى رغبة دانيسون الأب في امتلاك جزيرة كرافن. لذلك، فان سلبها من تحت أنفه من قبل ابنه ربما تكون ضربة قاضية له. فكرت ليف ان ما أقدم عليه رايان غرضه القضاء على والده. الا انها طردت تلك الفكرة من رأسها. فهي تعلم ان رايان لا يمكن ان يكون حاقداً، وبالتالي لم يخطط منتظراً لحظة الثأر. ومهما يكن، فان شراءه لجزيرة كرافن سيجعل الهوة تتسع بينه وبين أبيه.

كانت ليف تعلم منذ البداية ان والد رايان لم يكن مطمئناً لارتباطه معها. ليس لأنه يشعر بشيء ضدها شخصياً، بل كان ضد أنوثتها. كما ان وجودها لم يكن وارداً في المخطط الذي وضعه لابنه الاكبر.

فالزواج بالنسبة لرايان كان يجب ان يتم في وقت لاحق، ومن ابنة احد شركائه بحيث تستطيع ان تحافظ على مركزه الاجتماعي.

ان الفتاة البالغة السابعة عشرة من العمر، ابنة الصياد الذي يعمل لدى دانيسون الأب، لم تكن مناسبة. كما ان والدها كان يشعر بنفس الشيء نحو رايان.

عندما التقت ليف برايان في الحفلة، منذ ثماني سنوات، وبعدما اوصلها الى البيت، رن جرس الهاتف في منزلها، فردت وهي لا تدري من الذي يمكن ان يتصل بها. أصابتها الدهشة لدى سماعها صوت رايان، الذي سألها الخروج معه في نزهة قصيرة.

عادت الى ذاكرتها صورة تلك الفتاة الشابة التي تسرع في ارتداء الجينز الأزرق والقميص الملون، والتي تسرّح شعرها بالفرشاة لتعود وتكتب رسالة موجزة لوالدها. بعدها تقضي خمس عشرة دقيقة في الانتظار الشاق وهي تفكر فيما اذا كان يجب ان تهرع نحو سيارة رايان فور وصوله او تنتظره حتى يقرع الباب.

فتحت ليف الباب لحظة طرق عليه رايان. وحين رآها، اضاءت ابتسامته الساحرة وجهه الأسمر. كان يرتدي الجينز أيضاً، وقميصاً أزرق. بعد تلك النزهة الرائعة، اعتاد رايان على لقاء ليف، حيث كانا يتنزهان في أغلب الاحيان في مكان يشرف على شاطىء البحر.

وبالطبع، كان يقترب منها ويعانقها. وما تزال ليف تتذكر تفاصيل تلك اللحظات. فقد علّمها رايان ان المعلومات التي تبادلتها مع الصبية القلائل الذين هم في سنها غير مجدية. لا بد انه سخر من قلة خبرتها. ولكن في أحد الأيام، وفيما هي تسير في شارع القرية الرئيسي، توقفت سيارة الجكوار الحمراء الى جانبها، وانحنى رايان يفتح الباب من دون ان يضطر الى دعوتها للصعود.

كان ذلك قبل أسابيع قليلة من اكتشاف والدها علاقتها مع رايان دانيسون. لم تكن ليف تقصد اخفاء الامر عنه، لكنه حين علم بالامر، وقع أول خلاف بينهما. اذ عدّد بصوت مرتفع اخطاء رايان.

فهو يكبرها بكثير، كما انه مهمل ولا يتحمل أية مسؤولية. وهو بالتأكيد يقضي وقته معها في سبيل التسلية...

بعد ذلك، تدبرت أمر لقاء رايان بعيداً عن المنزل، وكان والدها حين يلاحظ ذلك، يتجنب ذكره أمامها. كان لقاؤهما يزداد حرارة مع مرور الأيام، الى ان مرت ليلة وضعت علاقتهما في مأزق.

ففي تلك الليلة، تناولا عشاء رومنطيقياً في أحد المطاعم. وفي طريق العودة الى المنزل، أوقف رايان سيارته الى جانب الخليج. كانت اللقاءات السرية مع رايان تعذب ضمير ليف وتقلقه. لكنها في هذه الليلة التقته من دون شعور بالذنب. اقترب رايان منها، وفجأة احست ليف انها تكاد تنهار، الأمر الذي ملأها خوفاً. فأبعدته عنها بكل قوتها. كانت تظن انه سيحاول الاقتراب منها ثانية، الا انه بقي مكانه يتنفس بهدوء وراء مقود سيارته. شعرت بالألم واليأس، ثم قالت بهمس متقطع:

ـ آسفة.

التفت رايان الذي بدا وجهه شاحباً تحت ضوء القمر، وقال معتذراً:

ـ آسف لأنني أخفتك... فقد نسيت نفسي، نسيت كم انت صغيرة و... من الأفضل ان نعود الى البيت.

بعد ذلك مضى أسبوع من دون ان يتصل بها.

لم تعلم كم من مرة امسكت بسماعة الهاتف للاتصال به والدموع تنهمر بغزارة على وجنتيها. وحين دعاها أخيراً لمرافقته الى حفلة يقيمها أحد اصدقائه، بكت ليف فرحاً. اذ كانت تريد البقاء الى جانبه مهما كلف الأمر. ثم وصلت بطاقة دعوة مذهبة من دانيسون الأب تدعو السيد تشارلز جانسن وابنته اوليفيا الى عيد ميلاد ابنه الأصغر جويل. وبعدما قرأ والدها البطاقة، رماها باهمال على الطاولة وقال بحزم:

ـ ارسلي له اعتذارنا لعدم قدرتنا على المجيء.

قالت ليف برجاء:

- ارجوك يا والدي، ان جويل لطيف جداً، ومن الوقاحة ان نرفض دعوته.

- أظن انني اخبرتك ان تبتعدي عن آل دانيسون، فهم ليسوا أهلاً لك.

- ان كل اصدقائك سيكونون هناك.

- حسناً، ربما يجب ان اذهب وأعود بسرعة لكي لا أثير غضب السيد دانيسون. لكن لا أريد ان اراك بصحبة رايان!

حين اقترب موعد الحفلة، ارتدت ليف ثوباً جميلاً ذا اكتاف مكشوفة، وتركت شعرها اللامع ينسدل على كتفيها.

أما والدها، الذي لم يشعر بالراحة وهو يرتدي بدلته الجديدة، فقد قطب حاجبيه لدى رؤ يتها، لكن ليف دفعته للأسراع قبل ان يتسنى له الضغط عليها كي تبدل ثوبها. كادت انفاس ليف تنقطع دهشة حين وصلت الى منزل آل دانيسون. كان المنزل مضاء بأضواء براقة بحيث بدا كأنه سفينة ضخمة تطفو على صفحة الماء. ظنت ليف انها تحلم بأشياء مذهلة، فلم تصدق ما رأت. الا ان دهشتها اصطدمت بسخط والدها الذي قال:

- هنا آل دانيسون ذوو المظاهر. بيتهم كبير وأموالهم كثيرة ومشاريعهم أكثر.

فتح الخادم توماس لهما الباب وقادهما الى الداخل حيث كان جويل يستقبل المدعوين. وحين رآها، أسرع وهو يبتسم مرحباً:

- مساء الخير يا سيد جانسن... شكراً لتلبية دعوتي.

أجابت ليف:

- شكراً لدعوتك لنا. اتمنى لك عيداً سعيداً.

- هل استطيع ان اصطحب أجمل فتاة في المنطقة؟

سألها جويل حين أبتعد والدها ليتحدث مع دانيسون الأب.

ضحكت ليف ووضعت يديها على كتفيه.

ـ ان بلوغك الحادية والعشرين لا يخولك حق عناق كل فتاة يا أخي الصغير.

قال رايان وهو يضع يده حول يد ليف وتابع:

ـ وخاصة هذه الفتاة بالذات.

لم تعد ليف تقوى على الوقوف، فتركت عينيها تنهلان من اناقته. كان يرتدي بدلة زرقاء وقميصاً كحلياً رائعاً.

قال رايان وهو يتقدم لمصافحة والد ليف:

ـ كيف حالك يا سيد جانسن؟

بعد ذلك وصل المزيد من الضيوف، فابتعد السيد جانسن لينضم الى مجموعة من الرجال الذين تحلقوا حول دانيسون الأب. بينما اتجهت ليف للحديث مع عدد من الشبان الذين سبق لها ان تعرفت عليهم.

ولخيبة أملها، لم يبحث رايان عنها كما كانت تتوقع، فبدأت السهرة تفقد روعتها. لكن حين بدأ العشاء، وقف رايان الى جانبها وذراعه حول خصرها، ثم قال بلطف بالغ وأنفاسه تداعب اذنها:

ـ هل اخبرتك انك تبدين فاتنة جداً الليلة يا آنسة جانسن؟

لم تقل ليف اي شيء، بل اكتفت بالنظر اليه بعينين حالمتين لتسمعه يردد:

ـ استمري في النظر الي لأطير بك الى حيث لا يوجد أحد يا صاحبة العينين الزرقاوين.

كان العشاء فاخراً ولذيذاً. مكث رايان خلاله بالقرب منها ليشربا نخب جويل. وحين فرغ الجميع من الطعام، انقسموا الى جماعات. فذهب الشبان الى غرفة الرقص، فيما بقي الكبار يتجاذبون اطراف الحديث في غرفة الجلوس.

خلع رايان سترته. وفكك أزرار قميصه العليا ليرقص وعيناه تبدوان أكثر لمعاناً وجاذبية مما ألهب مشاعر ليف. وفيما هما يرقصان، سار بها نحو غرفة جانبية وهو يقول:

ـ كنت أريد ان أفعل ذلك منذ بداية السهرة.

لكن فتاة وشاباً دخلا ليقطعا عليهما خلوتهما. فامسك بيدها وخرجا من المنزل.

ـ الى أين نحن ذاهبان؟

قال ضاحكاً وهو يتجه الى الشاطىء وقد اضاء القمر طريقه:

ـ الى حيث لا يزعجنا أحد.

ثم اردف قائلاً:

ـ تخلصي من حذائك.

رفست ليف حذاءها العالي أسوة برايان.

أخذا يقفزان ويداهما متشابكتان، وكالأطفال تسابقا على الشاطىء، فيما كانت أصوات الموسيقى ورنين الضحكات تتلاشى في الظلام وراءهما.

ـ تمهل يا رايان! لا استطيع اللحاق بك.

وقفت ليف مسمرة في مكانها وهي تقول:

ـ اظن انني أكلت كثيراً.

تخلص رايان من قميصه تاركاً النسيم البارد يلفح بشرته الدافئة. ثم قال:

ـ لم أكن أعلم ان المكان دافىء في الداخل! ان ما نحتاجه هو القليل من السباحة.

لمعت عيناه كالفحم الأسود وهو يتابع سائلاً:

ـ ما رأيك يا ليف؟

ضحكت قليلاً وقالت:

ـ كلا، لا استطيع ذلك. . .

ـ هيا بنا، لن يرانا أحد.

لمعت اسنانه تحت ضوء القمر وهو يبتسم لها.

ـ يجب الا تسبح.

قالت ليف بسرعة، فتركها قائلاً:

ـ اراك فيما بعد على الشاطىء.

ثم ألقى بنفسه في المياه.

وقفت ليف مسمرة في مكانها حائرة وهي تخشى عليه من الغرق. ثم، وبجرأة مفاجئة، وقبل ان تسمح لنفسها بتغيير رأيها، سارت الى الأمام وهي تشعر بمزيج من الاثارة والرعب. غطست في المياه الباردة التي أجفلتها لأول وهلة، وما لبثت ان اعتادت عليها. سادها شعور بالحرية لدى وجودها وحيدة في البحر المضاء بالقمر المنساب كالحرير.

لكن يجب ان لا تبقي وحيدة. يجب ان يكون رايان الى جانبها. بحثت عنه بعينيها والألم يتسرب الى نفسها. أين هو الآن؟ ارتجف اسمه في حلقها حين التفت ذراعاه حولها لترفعاها ثم تلقيا بها الى الماء. اخذت ليف تسبح وراءه من مكان لآخر، فيما كان يختفي من أمامها ليظهر من ناحية أخرى، الى ان استطاعت الامساك به ليعودا الى الشاطىء وهما يضحكان بمرح.

بدا القمر اكثر توهجاً في تلك اللحظة، فالتفت رايان بعينيه نحوها. ثم غرقا سوياً في الرمال حيث يتجاذب المد والجزر الرغوة الآتية اليهما. لم تستطع ان تقاوم سحره، بل رغبت ان يقترب منها اكثر مما فعل. وحين راودتها الفكرة ان ما تفعله خطأ، ألقت بهذه الفكرة جانباً وهي تحدث نفسها بأنها تحب رايان وستبقى كذلك الى الأبد، ولن يدخل في حياتها غيره.

وفجأة شعر رايان بالدموع تنهمر من عيني ليف. فضمها الى صدره بقوة وقال وهو يمسح دموعها:

ـ آسف يا حبيبتي.

هزت رأسها وقالت:

ـ أنا بخير. . . أحبك يا رايان.

لمست وجهه وتطلعت اليه والحب يملأ عينيها، ثم اخذت تفكر. . . هل خيبت آماله ام انها احرجته؟

قال رايان بحنان:

- ارجوك يا ليف، لا تبكي. انت لا تحتقرينني بقدر ما احتقر نفسي. صدقيني.

قالت وهي ترتعش:

- انا لا احتقرك يا رايان. ليس الخطأ خطأك.

- كان يجب ان لا افقد السيطرة على نفسي...

فكرت ليف ملياً بكلماته. فهل يعني انه لو كان في وعيه الكامل لما رغب في الاقتراب منها؟

قالت بهمس:

- ألا يعني ذلك شيئاً لك؟

أبعدت رأسها عنه، الا انه امسك بها واصابعه تنغرس في ذراعيها، ثم احتضن وجهها بكفه وقال بصوت أجش:

- بالطبع يعني ذلك شيئاً لي. لكن كان يجب ان لا ادع شيئاً يحدث، فأنت صغيرة جداً.

قال ذلك بلطف ثم أردف:

- لكن هذا ليس ما افكر به.

جاء عناقهما أقل حرارة هذه المرة، حتى استغرقا في النوم وهما متعانقان على الرمال. لم يشعرا بمرور الوقت. ولم يسمعا الجلبة التي أثارها الجميع بحثاً عنهما، الى ان اضاء مشعل مكانهما.

استيقظ رايان وهب واقفاً وقاد ليف التي كانت تغالب النعاس الذي طغى عليها. وما لبثت ان استفاقت مذعورة لدى رؤية شخصين يقفان امام المشعل. ثم وقفت بهدوء وهي تحمي نفسها به. لم ينطق رايان بأية كلمة.

- هل وجدتهما؟

انطلق صوت والد ليف عبر الأمواج وهو يسرع للانضمام الى الشخصين.

- نعم، انهما هنا.

جاء صوت دانيسون الأب رزيناً. ثم تطلع نحو ابنه الأكبر وقال غاضباً:

- تماديت كثيراً هذه المرة يا رايان.

اتجه جويل نحو ليف قائلاً:

- ليف، هل انت بخير؟

قالت بخجل:

- نعم، انا بخير طبعاً.

- ما الذي يجري هنا؟

جاء صوت تشارلز جانسن مضطرباً واضاف:

- كنا في غاية القلق عليك يا ليف. اذ وجدنا حذاءك على الدرج.

وبعدما رأى شعرها المبلل قال:

- ليف؟ هل كنت تسبحين؟

قال رايان بجفاء:

- لنذهب الى البيت. لن نستفيد شيئاً من الوقوف هنا كل الليل.

قال والدها باصرار:

- ليف، ما الذي يجري هنا؟

- سنتحدث فور عودتنا الى البيت يا جانسن.

قالها دانيسون الأب فيما كانوا يتهيأون للسير، والهدوء المؤلم يخيم عليهم جميعاً.

٧ـ أثر على الوسادة

انكمشت ليف حين راودتها تلك الذكريات، ولمعت في مخيلتها صور المشهد الذي أعقب تلك الحادثة. وفيما كانت مستلقية على سريرها في مركب رايان، لفت ذراعيها حول نفسها كي تشعر بالاطمئنان ازاء تلك الذكريات المؤلمة.

التزم والدها الصمت بعدما علم بكل ما جرى. وما لبث ان بدأ مع دانيسون الأب يوبخان رايان ويتهمانه بالطيش، فيما وقف رايان الذي اكتسى وجهه بتعبير جاف، صامتاً كأبي الهول.

فقدت ليف السيطرة على نفسها، ولم تستطع تحمّل المشادات. وهنا وضع جويل ذراعه حولها ليهدىء من روعها ويمسح الدموع المنهمرة على خديها.

نظرت ليف الى عيني جويل المليئتين بالحنان، وارتاحت عندما رأت وجهه يعكس ما تعانيه من ألم وخيبة. ثم هدأت قليلاً وانتقلت بها الذاكرة الى الوقت الذي طلب فيه والدها من رايان ان يتزوجها فوراً. لكن رايان رفض الزواج بحجة انه غير مهيأ له وان هناك أموراً يجب ان ينجزها قبل ان يتحمل عبء هذه المسؤولية. تجمدت عروق ليف عندما سمعته يرفض الزواج منها، والتفت والدها نحوه وتهيأ للانقضاض عليه، وقد بدا وجهه شاحباً من الغضب لكن صوت دانيسون الأب حسم الموقف، اذ قال:

- يجب ان يتزوج رايان من ليف. وان يواجه مسؤولية ما اقدم عليه، ثم يغادر المنطقة من دون ان يأخذ شيئاً باستثناء ما يستطيع حمله. وبعدها لن تكون هناك أية معونة اقتصادية له. لكنه سيتزوج ليف... وهذا هو المهم.

عادت عينا ليف تنظران الى رايان وهو يواجه غضب والده. لكن الاسوأ من ذلك كانت الطريقة المشينة التي ابتعدت بها عيناه الزرقاوان عن عيني ليف المتوسلتين.

كان احتفال زواجهما هادئاً على عكس الاحتفالات الصاخبة التي كانت تحييها عائلة دانيسون. خرج رايان بعد ساعة من الاحتفال، ولم تعد ليف تراه على انفراد كما في تلك اللحظات الحالمة التي قضتها معه على الشاطىء. وحينما تشابكت اصابعهما بينما كان يلبسها الخاتم، شعر كل منهما وكأنه يلامس النار.

لم تعد ليف تراه الا حينما فاجأها ليلاً منذ ثلاثة أسابيع. وفي الواقع، لم تسمع عنه شيئاً الا عندما بلغ طفلاها عامهما الثاني. وقتئذ نصحها البنك بأخذ النفقة التي كان يرسلها الى حسابها كل شهر. لكنها لم تمسها خلال تلك السنوات، اذ لم تكن تريد شيئاً منه.

شعرت ليف بالدموع تبلل وسادتها، فانتابتها موجة من الأسى. كلا، لم تكن تريد منه شيئاً. لكنه منحها أثمن هدية... طفليها الجميلين.

لم تستطع ان تتخيل الحياة بدونهما، رغم انها لم تحس بطعم الحياة. فبعد رحيل رايان، مكثت ليف في منزلها وحيدة تتطلع الى البحر او تتمشى على الشاطىء، وابتعدت عن كل من يحاول التقرب منها، حتى والدها وجويل. وضعت لنفسها قفصاً زجاجياً وهمياً بحيث لا تستطيع ان تلمس احداً ولا أحد يلمسها. لم يخطر ببالها قط انها يمكن ان تكون حاملاً. لم تكتشف ذلك الا بعدما لاحظ والدها معالم المرض البادية عليها، فاستدعى الطبيب الذي أكد حملها. تلقت النبأ من دون أي انفعال. اذ انها لم تكن تدري أتريد اطفالاً ام لا تريد؟

كان والدها شديد القلق عليها. وحاول جويل اخراجها من صمتها، حيث بقي الى جانبها يتحدث اليها ساعات طويلة من دون جدوى. فاتهمها بالانانية وعدم الاهتمام بالآخرين.

وبرغم هذا الاتهام، استمر جويل في مساعدتها كي تتجاوز المحنة التي ألمت بها. ولما بدأت الحياة الجديدة تنمو في احشائها، استعادت ليف توازنها تدريجياً، وعاد كل شيء الى حاله الطبيعي، وتحول الحب الكبير الذي منحته لرايان نحو الكائنين اللذين لم يولدا بعد. نعم، كان جويل سبيلها الى الخلاص، حيث جاهد طويلاً من اجل انقاذها بعد ان كانت على شفير الهاوية. كان من السهل جداً ان تقع في حب جويل خلال السنوات الماضية، الا انها كانت تعلم ان هناك شخصاً ثالثاً يحول دون ذلك.

لم تكد ليف تستغرق في النوم حتى شعرت بيد تلامس كتفها بلطف. فاستفاقت تنظر في الظلام الى الوجه الذي علمت بوجود صاحبه.

قالت وهي تمسك بالغطاء لتحمي ذراعيها:

ـ ما الأمر؟ ماذا تفعل هنا؟

قال رايان وهو يمسك بالغطاء:

ـ علي ان أنام هنا لأن روكو ينام على المقعد في الغرفة الرئيسية. انني لا أرغب في النوم على الأرض، بينما أكون مرتاحاً اكثر هنا.

ـ تكون مجنوناً لو اعتقدت انني سأدعك. . .
ـ اخفضي صوتك كيلا يستيقظ النائمون.
ـ لن تنام هنا.

همست ليف باصرار بعدما التقت عيناه بعينيها، ثم تساءلت ساخرة فيما كان قلبها يخفق بشدة:
ـ ما الذي جرى للنجوم في السماء؟
ـ لو توقفت عن الكلام لكان بامكانك الاستماع الى المطر.

انصتت ليف الى المطر المنهمر على متن المركب، فيما كانت تسترق النظر الى رايان.

أحست بالتوتر، وقالت:
ـ وماذا بشأن ألسي؟
ـ انها نائمة في السرير الواقع تحت سرير لوك. لقد جاءت لتنام هناك بعدما بدأت السماء تمطر. والآن تحركي، فانا متعب وأريد ان اخلد للنوم.

رفع رايان الاغطية وانزلق تحتها لينام.

تقلص السرير المريح المتسع وأصبح ضيقاً جداً، فالتصقت ليف بحائط الغرفة وقد توترت حواسها. اطفأ رايان الضوء واستلقى مديراً ظهره اليها.

بقيت ليف هادئة وعيناها مفتوحتان. تنهد رايان قائلاً:
ـ اهدئي، اكراماً لله.

ازدادت ليف التصاقاً بالحائط بعدما سمعت صوته.

قال وهو يلتفت نحوها قليلاً:
ـ ليف، قلت ان ميلي تنام في السرير المجاور، وليس علي ان ادفعك للقيام بما لا ترغبين بالقوة، واذا كنت أود الاقتراب منك، فلا ينبغي علي اللجوء الى القوة. نامي بهدوء لأنه ليست لدي أية رغبة في ذلك.

ثم استدار واستغرق في النوم.

اجبرت ليف نفسها على الاسترخاء تدريجياً حتى استطاعت ان تخلد الى النوم. وكانت تلتفت خلال الليل نحو رايان، فيأخذ ذراعها ليلفها حوله. وحين فتحت عينيها، كان النهار انبثق متوهجاً من النافذة الواقعة فوق سرير ميلي التي كانت ما تزال مستغرقة في النوم. عادت ذكريات الأمس تراودها. فتطلعت الى حيث كان ينام رايان، لكنها لم تجده. فهل كانت تحلم؟

لا! ان أثر رأسه ما يزال واضحاً على الوسادة.

نهضت ليف ونظرت من النافذة الى السماء الزرقاء الصافية. كان المطر قد توقف تاركاً الجزيرة تبدو اكثر نضارة ونقاوة. قرع رايان الباب بلطف، ثم دخل يتبعه لوك. كان كل منهما يحمل كوبين من الشاي. وضع لوك كوبه وكوب شقيقته على الطاولة وجلس بجانب ميلي التي كانت تفرك عينيها الناعستين.

ناولها رايان فنجان الشاي من دون ان ينطق بأية كلمة، ثم جلس الى جانب السرير ورشف الشاي وعيناه تتحركان نحو وجهها.

قالت السي وهي تدخل الغرفة وتجلس قرب التوأمين:

- آه، الجميع هنا. يبدو انك تحبين النوم.

قالت ليف وهي تتطلع الى الشاي:

- لا، لكنني أمضيت ليلة مزعجة.

- انه لأمر مؤسف. أظن أنك غير معتادة على تحركات المركب.

قالتها آسفة ثم اكملت:

- لقد ولدت في مركب، فاعتدت على البحر منذ صغري.

سألت ميلي أمها وهي تنظر الى لوك:

- ألم تحلمي حلماً مزعجاً يا أمي؟

تطلعت ليف نحو رايان الذي ابتسم بسخرية وأجابت:

- راودني شيء يشبه ذلك.

- حسناً، تعال يا لوك لنرمي شباكنا ونرى ان كنا نستطيع اصطياد الزبدة أو الجبن للفطور.

وقف رايان، وقفز لوك بحماس من السرير.
سألت ميلي:
ـ هل استطيع المجيء أيضاً؟
قال لوك محاولاً ابقاءها:
ـ لم ترتدي ملابسك بعد.
فأجابته وهي تفكك ازرار قميص النوم:
ـ باستطاعتي ارتداء ملابسي بسرعة.
ـ اصعدي حالما تنتهين.
قالها رايان فيما كان يختفي في الرواق يتبعه لوك وإلسي.
نهضت ليف من سريرها لتساعد ميلي في ارتداء ملابسها وافكارها تجول حول تلك الفتاة الفيجية التي كانت تتبعه وتبتسم له. انها شفافة جداً مثلما كانت ليف تماماً! فهل يمكن ان تكون هناك اية علاقة بينهما؟ ان كان ذلك صحيحاً، فلماذا يقول رايان انه يريدها ويريد الاطفال الى جانبه؟
انتابتها موجة من الغيرة، وملأ اليأس قلبها عندما التفتت الى السرير. وقاومت بصعوبة الرغبة الجامحة في وضع رأسها على الوسادة التي كانت تحمل آثار رأسه.
كم كانت عمياء وحمقاء! انها تحبه مثلما كانت تحبه في الماضي، وربما أكثر، لأنه اصبح رجلاً واقعياً وليس رجلاً خيالياً كما تصورته لنفسها طيلة السنوات الماضية. لقد اختفى الخيالي وحل محله الواقعي باخطائه، وبامكانها ان تحبه رغم تلك الاخطاء. فهو لا يزال متهوراً، ويسعى لتحقيق كل ما يريد. واذا ما علم بما تكنه له من مشاعر، لاستغل ذلك. وفي أي حال، يجب ان لا يعلم بحبها له، كما يجب ان تبقى مسافة بينهما.
قال لوك بحماس:
ـ ان الفطور جاهز يا أمي. لقد اصطدنا بعض الاسماك. حتى ميلي اصطادت واحدة.

كانت الوجبة رائعة، الا ان ليف لم تتحدث خلالها. جلس الكبار الى الطاولة في الغرفة الرئيسية، بينما جلس الاطفال الى طاولة أخرى.

قالت ماريا:

ـ اعتقد انني شعرت بهطول المطر خلال الليل. هل شعر أحد بذلك أو انني كنت أتخيل؟

أجاب روكو:

ـ لقد امطرت قليلاً. وهربنا من المطر بعدما تبللنا، ونمت هنا في هذه الغرفة. أين نمت الليلة يا رايان؟

ـ لقد وجدت مكاناً رائعاً.

قال مبتسماً، في حين ضحك الجميع وألقت ماريا وإلسي نظرات فاحصة على وجه ليف المحتقن.

استلقت ليف وماريا تتشمسان على الشاطىء وهما تراقبان الاطفال يلعبون في الماء.

ـ يقول مايك ان رايان اشترى جزيرة كرافن وان لديه خططاً جاهزة لاعمارها. ان افكاره العظيمة ستلاقي نجاحاً لا مثيل له. كما انها ستوفر العمل للسكان المحليين.

ـ ليس هناك اي شك في ان النجاح هو حليف رايان في اي مشروع يقدم عليه.

لم تستطع ليف التخلص من الألم المسيطر على نبرات صوتها، فنظرت اليها ماريا بحدّة.

تنهدت ليف ثم قالت:

ـ آسفة يا ماريا. يجب ان لا أوجه سخطي اليك. لا استطيع الاّ أن اكون عدائية نحوه.

قالت ماريا بهدوء:

ـ ربما انت التي تدبرت لنفسك التفكير على هذا النحو يا ليف لأنه سبّب لك الأذى.

هزت ليف راسها وهي لا ترغب في التفكير بأن هناك بعض الحقيقة في كلمات ماريا. ان اسلوب والدها لم يساعدها، لا سيما انه كان لا يتحدث عن رايان الا بالسوء، كما ان دانيسون الأب لم يتحدث ابداً عن ابنه الاكبر. ان عليها ان تلطف من تصرفاتها اكراماً للطفلين كي لا تهتز صورة الوالد في نظرهما. كل ذلك يعيدها الى المشكلة الرئيسية وهي التحدث الى الطفلين عن رايان.

همست بكلماتها الى ماريا:

ـ علي ان اخبر التوأمين في الحال.

ـ لم لا تفعلين ذلك في حضور رايان؟ عندئذ يمكنكما التحدث اليهما معاً. فقبل أي شيء، يجب ان لا تقع المسؤولية على كاهلك فقط.

ـ لست أدري ان كنت استطيع البقاء هادئة.

قطبت ليف حاجبيها لدى دخول رايان، وأخذت تراقبه وهو يسير في اتجاههما بكل قوة وثقة. واعترفت في قرارة نفسها انه من الصعب مقاومة الجاذبية التي يفرضها على الجميع.

قال رايان وهو يتمدد على الرمال بجانب ليف:

ـ يجب ان نعود في وقت مبكر. ان منظر السحب المتجمعة هنا لا يسرّني، خاصة وان التقرير الجوي يشير الى ان البحر سيكون هائجاً بعد الظهر. لذلك ارى انه من الافضل ان نذهب خلال نصف ساعة لكي لا يشعر أحد بالانزعاج. آسف لأن عليّ اختصار هذا النهار.

شعرت ليف بالارتياح. اذ كانت تتمنى ان يمضي الوقت بسرعة لكي تنتهي النزهة بسلام.

وصل الجميع الى شوت هاربر قبل ان يبدأ البحر بالهياج. وعندما احضرت ليف متاعها استعداداً للعودة مع آل كاستيللو اعترضها رايان قائلاً:

ـ سأوصلك الى البيت يا ليف.

قالت بهدوء:
- سأعود مع مايك وماريا. بامكانهما ان يوصلاني في طريقهما الى المنزل.
توقف يحدق بها وعيناه تخبرانها انه يود ان يهزها بعنف.
قال باصرار:
- سأوصلك الى البيت. هنالك أمر أود ان احدثك عنه.
ثم تابع طريقه.
حين انتهى رايان وروكو من توضيب الاشرعة والتأكد من ان كل شيء على ما يرام، كان آل كوستيللو غادروا المكان. مكثت ليف تائهة في افكارها وهي تنتظر ان يوصلها رايان الى المنزل، الا انه كما يبدو لم يكن على عجلة من أمره، فشعرت بالاضطراب الشديد. كان التوأمان سعيدين يحاولان التقاط سمكة ملونة كانت تسبح في المياه الزرقاء. حتى انهما لم يرضخا بسهولة لأوامر رايان بوضع صنارة الصيد جانباً لكي يعودا الى البيت.
فتحت ليف باب منزلها، فتسابق التوأمان نحو الباب الخلفي ومن ثم نزلا الى الشاطىء. وضعت ليف حقائبها في غرفتها وهي تشعر بتوتر اعصابها. ثم تبعت رايان الى الغرفة الخلفية حيث كان واقفاً يراقب ميلي ولوك.
وقفت ليف بدورها تراقب رايان متسائلة عما يجول في خاطره، وهو يراقب التوأمين. هل يشعر بالندم لاضاعته سبع سنوات بعيداً عنهم؟
سألت بجفاف:
- ما الذي تريد ان تقوله لي؟
ظنت لدقيقة انه لم يسمعها، حيث مكث مكانه ثم التفت وقال بنبرة جادة:
- اريد منك ان تقدمي لي خدمة.
سألت وهي تراقبه بحذر:

ـ ما نوع تلك الخدمة؟
ـ تعالي ندخل..
افسح لها الطريق لتسير أمامه. وما ان وصلا الى المطبخ حتى قرع الجرس. ذهبت ليف لتفتح الباب وهي تشعر بنجدة مؤقتة. لكن مشاعرها لم تدم طويلاً، لأن مارتن ويلسون كان من قرع الجرس.
ـ مساء الخير يا اوليفيا. كنت اخشى ان لا اجدك هنا.
ثم التفت نحو سيارة رايان المرسيدس الفضية المتوقفة أمام المنزل.
ـ ارجو ان لا اكون قد اتيت في وقت غير مناسب.
ـ اهلاً بك يا مارتن.
جاء صوت ليف متهدجاً وهي تحاول اختلاق عذر ما لابعاده قبل ان يأتي رايان.
ـ انا... لقد وصلنا لتونا، وانا...
ـ من الطارق يا عزيزتي؟
جاء صوت رايان من ورائها، فجمدت ازاء النبرة العاطفية التي يحدثها بها.
ضاقت عينا مارتن وهو يحدق في الرجل الواقف وراء ليف، وحين امتدت يد رايان لتطوق خصرها بأسلوب أليف، انتقلت عيناه نحو ليف وهو يكاد لا يصدق. عجزت ليف عن الكلام، بينما مد رايان يده الاخرى ليصافح مارتن.
ـ كيف حالك؟ أقدم لك نفسي، رايان دانيسون، زوج ليف.
ـ هل ذلك صحيح يا اوليفيا؟
قال مارتن متجاهلاً يد الرجل الآخر الممدودة لمصافحته. هز رايان كتفه وقال:
ـ دعنا نرى، انت مارتن ويلسون بالتأكيد. لقد اخبرتني ليف عنك.
اجاب مارتن وهو يكاد لا يصدق:

ـ صحيح؟
ـ ارجوك يا رايان.
أخيراً استطاعت نيف ان تتكلم.
ـ اتركني مع مارتن دقيقة على انفراد.
ألقى رايان نظرة فاحصة على مارتن قبل ان يهز كتفه ثانية.
ـ سأذهب وابدأ في تناول العشاء.
قال بحسن نية واختفى داخل المطبخ.
وعلى الاثر نظر مارتن الى ليف قائلاً:
ـ ما الذي يجري هنا يا اوليفيا؟ هل هذا هو زوجك؟
ـ نعم. هذا هو زوجي. لكن لا... آه يا مارتن، ليس ما تفكر به صحيحاً.
قالت ليف بسرعة وهي تتنفس بعمق قبل ان تكمل حديثها:
ـ آسفة يا مارتن. كنت أود ان اخبرك بذلك عندما اتصلت بي هاتفياً، لكن...
ـ هل كنت تبحرين معه في مركبه؟
ـ نعم، ولكن...
ـ منذ متى عاد؟
ـ منذ ثلاثة أسابيع، ولكن...
ـ ثلاثة أسابيع؟
احمرت وجنتاه لدى سماعه ذلك، ثم قال:
ـ أقدّر ذلك. حسناً، سأتركك الآن. اعتقد اني غاليت في تقديري لك.
ـ مارتن، إنتظر!
وضعت ليف يدها على ذراعه. نظر اليها وأزاحها عنه وسار مبتعداً. اخذت ليف تراقبه وهو ذاهب. فشعرت بالذنب نحوه. ثم ذهبت الى المطبخ لتصب جام غضبها على رايان.
كانت ميلي تقف على كرسي تراقب رايان يحرك حساءً زكي

الرائحة، بينما كان لوك يهيىء المائدة بفرح، رغم انه في العادة يكره القيام بهذه المهمة. قال لأمه:

- ان الرجال يجهزون العشاء الليلة.

التقت عينا رايان بعينيها، وبراءته الرقيقة تزيدها غضباً. لكنها امسكت لسانها لأنها لا تريد ان تزعج الطفلين.

- ان العشاء جاهز.

قالت ميلي وتطلعت الى رايان تسأله:

- هل أنت متأكد انه شهي؟

- أنا أكفل ذلك لأنني ملك في اختيار المآكل والمشروبات الشهية.

تابع رايان وهو يبتسم لها:

- لنجلس ونبدأ في تذوّق الطعام.

ضحك التوأمان وجلسا في مكانيهما، بينما أخذ رايان يقدّم الطعام. جلست ليف بهدوء في مقعدها وهي تشعر انها ستكره الطعام. لكنها فوجئت حين وجدته لذيذاً.

- أليس ذلك عظيماً يا أمي؟

قال لوك وهو يضع شوكته وسكّينه في الطبق الفارغ وتابع:

- والآن جاء دور الفتيات لتنظيف الأطباق. هذه هي الأصول.

- هذا عدل.

قالت ليف وهي تنظر الى ساعة المطبخ ثم أكملت:

- لقد حان وقت الاستحمام والذهاب للنوم. لقد قضيتما نهاية اسبوع مرهقة، وغداً ستذهبان الى المدرسة.

عندما ذهب الطفلان الى النوم، وقف رايان في الممر وتمنّى لهما ليلة سعيدة. كان عليها ان تحدثه بشأن معاملته القاسية لمارتن، لكن يبدو ان غضبها تلاشى. فتبعته الى غرفة الجلوس وهي تشعر بزوال ثقتها به وبنفسها.

٨ـ الأب . . .

وقف رايان امام النافذة قائلاً وعيناه تحدقان في الظلام:

ـ اما بشأن تلك الخدمة يا ليف. . .

ـ كيف تجرؤ على طلب الخدمة مني بعد تلك المعاملة التي واجهت بها مارتن؟ عليك ان تنسى ذلك كلياً.

ـ ان هذا المتزمت التافه لن يوفر لك السعادة يا ليف. بل ستسأمين معه حتى الموت. اني لا أقول سوى الحقيقة.

ـ ليس الخطأ فيما قلته، بل الطريقة التي تحدثت بها. اني احتقر تدخّلك فيما لا يعنيك.

ـ هل كنت تنوين الزواج منه حقاً؟

كان من السهل ان تجيب بنعم، لكنها تعلم في قرارة نفسها انها لم

تكن تنوي الزواج منه، حتى ولو لم يعد رايان. انه على حق، فمارتن سوف يسبب لها السأم والضجر.

قال واثقاً:

ـ لا اعتقد ذلك.

جلست ليف وهي تشعر بالارهاق من جراء الحديث. ثم قالت ببساطة وهي تتمنى لو انها بقيت واقفة تمشياً مع الموقف المتأزم:

ـ رايان، انا متعبة، أخبرني فقط بما تريد ثم اذهب.

لم يجب رايان، فتساءلت عما اذا كان متردداً في اختيار الكلمات المناسبة. لكنها طردت تلك الفكرة من رأسها، لأن ذلك ليس من طبعه.

قال أخيراً دون أية مقدمة:

ـ اشتريت جزيرة كرافن.

ـ أعرف ذلك.

قالت ليف بتردد. ثم تابعت:

ـ لم أصدق ان السيدة كرافن باعت الجزيرة. كيف استطعت اقناعها بذلك؟

ـ لقد جئت اليها في الوقت المناسب وبالسعر المناسب.

حدقت ليف في وجهه وقد راودها شعور انه غير صادق، وتساءلت كيف استطاع ان يجمع تلك الثروة.

ابتسم رايان بمكر وكأنه يقرأ افكارها:

ـ لقد تم ذلك كله وفقاً للقانون. اذ حالفني الحظ واستطعت شراء الجزيرة بسعر منخفض.

ثم تجول في غرفة الجلوس الصغيرة، فوقع نظره على لوحة معلقة على الحائط، فقال:

ـ هل هذه احدى لوحاتك؟

ـ نعم.

ـ انها جميلة.

ـ شكراً، انني أجيد الرسم.

أومأ برأسه والتفت نحوها وقال:

ـ سأقيم حفل عشاء في فندق ايرلي وأريد منك ان تكوني مضيفة.

نظرت ليف اليه وهي تكاد لا تصدق.

ـ وما الغاية من هذا العشاء؟

ـ انه بمناسبة افتتاح مشروعي الجديد على جزيرة كرافن. دعوت بعض الشخصيات في المنطقة ممن يمكن ان يكونوا مع أو ضد اقامة المشروع، حتى اطلعهم على خططي. وبذلك استطيع معالجة اي احتجاج قبل ان يبدأ. فالتحسينات التي سأجريها في جزيرة كرافن هي ابتكارات حديثة. والناس لن يهتموا بأي نوع من التغيير الذي يحدث هناك. سأحدثهم عن اقامة منتجع سياحي فريد من نوعه.

ـ حتى وان كانوا ضد انشائه؟

قال مؤكداً:

ـ لن يكونوا ضد هذا المشروع بعد انتهاء الحفلة.

ـ وماذا يعني كوني مضيفتك؟

ـ ان وقوفك الى جانبي، بروعتك المعهودة، سوف يساعدني على اقناع من لا يقتنع بكلماتي.

ـ ولماذا يجب علي ان أقوم بهذه الخدمة لك؟

تطلع اليها رايان بسخرية:

ـ يمكنك ان تعتبري ذلك وسيلة من أجل الوصول الى غاية. فحالما ينتهي الحفل، ابتعد عنك نهائياً.

جاءت كلماته القاسية كالضربة القاضية، لكنها تدبرت أمر الاحتفاظ برباطة جأشها وقالت:

ـ كنت أعتقد انك ستبقى هنا.

ـ من يدري؟

قال بابهام، ثم نظر اليها والحيرة تملأ عينيه.

ـ رايان، لماذا رجعت؟ هل تريد ان تثبت شيئاً لوالدك؟ ذلك ما

يفكر به هو ويفكر به الجميع.
- لا أهتم بما يفكر به الجميع. ان سبب عودتي لا علاقة له بوالدي. فلماذا اريد ان اثبت له شيئاً بعد كل هذه المدة؟ ربما في البداية...
ثم هز كتفه وتابع:
- لكنني تخليت حتى عن التفكير برأي والدي بي. فهو لم يستطع ان يفهم طريقتي في الحياة. كان يهاجمني، وهو يعلم انني لا أرضخ ابداً. اما بالنسبة الى خطتي الاعمارية في جزيرة كرافن، فانني سأناقشها معه قبل العشاء. وفي أي حال، كان باستطاعته ان يدفع الثمن الذي دفعته، الا ان السيدة كرافن اختارت ان تبيعها لي لأنها اعجبت بالافكار التي قدمتها لها.
انحنى رايان غير مكترث فوق المقعد وقال:
- بالاضافة الى ذلك، عدت لأحاول ان أفعل شيئاً بشأن زواجنا، الموضوع الذي تنفرين منه. ان هذا الأمر خارج عن ارادتي، والكرة هي الآن في ملعبك.
- أنا سعيدة هكذا، كما اخبرتك سابقاً.
قالت ليف وهي تتمنى لو انه يلاحظ انها تقول هذه العبارة من غير اقتناع.
- ان ذلك من حقك. لكن يجب ان اطلع التوأمين على الحقيقة.
وقفت ليف غاضبة:
- كيف تتوقع أن أدعك تأخذهما مني ساعة تشاء؟ فربما تتخلى عنهما غداً. كلا يا رايان، لا أظن انها فكرة ملائمة.
- هل تريدين ان تشاركيني الحياة معهما؟
- ان ما تقوله جدير بالازدراء!
- وهل تعتقدين انه من العدل ان تمنعيني من التعرف الى طفليّ؟ انظري يا ليف، عندما اكتشفت وجودهما، لم يسمح لي وضعي المادي أو العاطفي بالعودة. ففي ذلك الوقت، كنت سأتسبب بالمزيد

من الضرر، لكن الأمر يختلف الآن. وبامكاننا ان نكون أكثر تفاهماً.

ـ أكرر ثانية، لا أريد ان أجرح مشاعر الطفلين. فمجرد وجودك سيؤثر فيهما.

صمتت ليف قليلاً، ثم تابعت:

ـ أخشى أن يعرف الطفلان الحقيقة من الآخرين...

ـ اذن، علينا ان نخبرهما بأنفسنا.

ـ أعرف ذلك، لكن...

وضع رايان يده على رأسه مفكراً، ثم قال:

ـ علي أن اغادر الى بريسباين، تعالي لتناول العشاء على متن المركب مساء الجمعة، ومن ثم نخبرهما الحقيقة معاً.

توقفت ليف وهي لم تقرر شيئاً.

ـ يجب ان يتم ذلك يا ليف، مهما كنت كارهة له.

قالت وهي تزفر:

ـ حسناً.

ـ سأمر لاصطحابكم في حوالى الساعة السادسة والنصف. أما بشأن الخدمة...

اضاف وهو يتناول محفظته ويخرج منها بعض المال:

ـ فخذي هذه النقود واشتري بها ثوباً يناسب الحفلة.

ـ لدي الثياب المناسبة يا رايان.

وتجاهلت المال الذي يمسك به.

ـ اعرف ذلك.

قال بغضب، ووضع المال على الطاولة متابعاً:

ـ دعيني هذه المرة فقط اشتري لك الفستان تقديراً مني للمساعدة التي سوف تقدمينها لي. يمكنك اصطحاب إلسي ان رغبت. اذ انها تتميز بذوق حسن.

ثم نظر بسرعة الى ساعته وأضاف:

ـ يجب أن أعود الآن، فأنا أتوقع مكالمة هاتفية بشأن العمل بعد عشرين دقيقة.

مشى نحو الباب قائلاً:

ـ أراك يوم الجمعة القادم.

بعدما تلاشى صوت سيارته، جلست ليف تنظر الى المال الملقى على الطاولة، وترددت قبل ان تلمسه لأنها لم تقتنع ان من حقها ان تستخدم ماله من أجل شراء ثوب لها. اما بالنسبة للاستعانة بإلسي من اجل شراء الثوب، فقد كان هذا آخر ما تفكر به! وان هي رغبت في استشارة احد، فستكون ماريا.

مضى ذلك الاسبوع ببطء شديد، رغم ان ليف كانت تود ان ينقضي بسرعة. خلال ذلك، انجزت ليف لوحتين كانت وعدت بتسليمهما قبل عودة رايان. واستقبلت جويل الذي حمل اليها نبأ شراء رايان لجزيرة كرافن على النحو التالي:

ـ ما زلت لا استطيع ان اصدق انه اشترى الجزيرة. اعني انه كان دائماً يتحدث بهذا الشأن في الماضي، لكن والدي لم يكن يصغي اليه، وهذا ما كان يثير غضب رايان. ولما لم يعد يتحدث عن ذلك الموضوع، اعتقدت انه نسي الأمر كله.

ـ وكيف تلقّى والدك ذلك النبأ؟

ـ بهدوء. أصابته الدهشة في البداية، لكنه الآن صامت لا يقول شيئاً. ان ما يقلقني هو ان والدي يعتقد ان رايان اشترى الجزيرة كي يضيفها الى ممتلكات العائلة. هل أطلعك رايان على مخططاته؟

ـ كلا. الا انه يريدني ان اكون مضيفته اثناء حفل العشاء. أود ان اعرف لماذا. ربما كان هناك شيء ما وراء ذلك.

ـ اعتقد ان علينا الانتظار حتى يتضح لنا كل شيء. فمن المثير ان نرى كيف ستكون ردة الفعل عند الجميع.

كانت ليف في طريقها الى المنزل بعدما مرت بمنزل آل كوستيللو حيث اصطحبت التوأمين اللذين كانا ينتظران مساء الجمعة بفارغ

الصبر. لم تفكر ليف بما ستقوله لهما. بل كانت تتهرب من ذلك، لأنها لم تعرف حتى الآن الطريقة الفضلى التي ستباشر بها الموضوع. وبرغم ان لوك لم يعد يسأل اية اسئلة، وان تصرفاته ازاء رايان تغيرت كلياً، الا انها كانت قلقة حول ردة فعله عندما يعلم ان رايان هو والده. اما بالنسبة لأبنتها، فلم تجد ليف أية مشكلة لأن ميلي اعجبت برايان منذ أول لقاء.

- انه وصل يا أمي.

قالت ميلي بصوت مرتفع بينما كانت تجري نحوه قائلة:

- ان أمي جاهزة تقريباً.

سرحت ليف شعرها بعصبية وربطته الى الخلف بعد ان كانت ارتدت بدلة خضراء وسترة طويلة الاكمام.

تحولت نظرات رايان نحوها حين انضمت اليهم، فتوقفت عيناه على شعرها قبل ان يلتفت ويتبع التوأمين الى السيارة. كادت تقول له انها ربطته الى الخلف بسبب الهواء الذي سيتلاعب به ويزعجها، وليس لأنه يفضل ان تتركه ينساب على كتفيها بحرية. لكنها احجمت عن ذلك، وسارت بصمت خلفه وهي مأخوذة باناقته وجاذبيته. كان عليها ان تبقى هادئة ورزينة هذه الليلة كي لا يشعر التوأمان بقلقها وآلامها.

قال رايان وهو يفتح لها باب السيارة:

- اهدئي ودعي القلق، فهما طفلان ذكيان، وسيتفهمان الأمر بسهولة.

اجابت وهي ترتعش:

- اتمنى لو كنت أكثر ثقة بنفسي.

لم يكن المركب راسياً قرب الرصيف، بل كان داخل الخليج، لذلك ذهبوا اليه بواسطة قارب صغير. كان النسيم بارداً والبحر هائجاً قليلاً. ولما تطلعت ليف بقلق الى السحب، قال رايان بصوت مرتفع:

ـ ربما تمطر قبل الصباح. لكن طبقاً للرصد الجوي، سيكون الطقس جيداً غداً.

عادت ليف بافكارها الى المرة الأخيرة التي قضتها على متن المركب حيث هطلت الامطار الاستوائية، فارتعشت تلقائياً. لكنها الليلة، ستبقى على متن المركب لبضع ساعات فقط.

ـ اين روكو؟ انني ارغب في سماع عزفه على الغيتار.

سأل لوك وهو يراقب رايان يجذف بسرعة. بينما سألت ميلي وهي تنظر اليه باعجاب:

ـ هل ستحضر لنا العشاء بنفسك؟

شعرت ليف بالألم يعتصر قلبها. فقد كانت أصغر من ميلي حينما نظرت اليه نفس النظرة.

أجاب رايان بارتياح:

ـ طبعاً سأحضر العشاء. آمل ان يعجب الجميع بالأكل الصيني.

كان العشاء الذي أعدّ رايان معظمه لذيذاً جداً. انطلق التوأمان يتحدثان بمرح الى رايان عن المدرسة وعن كرة القدم وعن دروس الرقص التي تتلقاها ميلي. وبالطبع، كانت ميلي تمسك بيدها المضمدة وهي تخبره عن تفاصيل الحادثة التي تعرضت لها قبل أيام.

بقيت ليف صامتة تستمع بقلق وهي تتخيل الموقف المؤلم الذي سيتبع هذه اللحظات المرحة.

تقبل رايان مجاملات الطفلين حول مهارته في فن الطبخ باعتزاز. ثم التفت نحو ليف وسألها:

ـ ما رأيك؟ هل أعجبك العشاء؟

ـ نعم، شكراً. كان لذيذاً جداً. اين تعلمت الطبخ؟

ـ تعلمت قليلاً هنا وقليلاً هناك.

سألت ميلي:

ـ عندما كنت تبحر حول العالم؟

قال ضاحكاً:

ـ نوعاً ما.

قال لوك:

ـ اراهن انك قمت بمغامرات كثيرة. هل تحطمت سفينتك ذات مرة مثل روبنسون كروزو؟

أجاب بأسف:

ـ كلا!

تنهد لوك خائباً وقال متابعاً استجوابه:

ـ ولا مرة؟ ما هي أكبر مغامرة قمت بها؟

ـ حسناً، لم تكن مغامرة بالمعنى الصحيح، لكن اسوأ لحظة مرت بي هي حين هبطت بالطائرة الصغيرة على احدى الجزر، عندما بدأ المحرك يضطرب. تمكنت ان أهبط بها، الا انني نزلت على بعض الصخور فانفجرت اطاراتها ووقعت على مقدمتها.

سأل لوك:

ـ وما الذي حصل للطائرة؟ هل تركتها على الشاطىء؟

سالت ميلي:

ـ هل تقود الطائرات أيضاً؟ يبدو انك تجيد القيام بكل شيء.

نظر الى ليف ساخراً:

ـ لا استطيع قول ذلك يا ميلي. هناك كثير من الاشياء لا استطيع فعلها، كالرسم مثلاً...

قال لوك في اعتزاز:

ـ أمي تجيد الرسم. حتى انها رسمت صوراً لنا وأعطتها الى جدي. هل تحب ان ترسم واحدة لك؟

قال بجفاف وهو يرفع حاجبه:

ـ وهل سيكون ذلك رهاناً؟

أجابت ليف:

ـ لست أهوى رسم الأشخاص. انني أفضل رسم المناظر الطبيعية.

ـ لوك يرسم جيداً أيضاً مثل أمي.
قالت ميلي، ثم أضافت بأسف:
ـ لكني لا استطيع ذلك.
قال لوك:
ـ انت تجيدين القراءة أفضل مني. يقول جدي ان كل انسان يجيد أشياء محددة. فاذا قام كل انسان بما يجيد، فان كل شيء سيكون على ما يرام.
ثم تابع مفكراً:
ـ ان جدي دانيسون هو والدك، أليس كذلك؟
سؤاله هذا اذهل كلاً من ليف ورايان.
اجاب رايان ببساطة:
ـ نعم.
ـ ولماذا ذهبت بعيداً؟ هل كنت عاطلا عن العمل مثل والد صديقي داني الذي كان عليه السفر الى غلادستون بحثاً عن العمل؟
ـ كلا، لكنني اردت العمل لحسابي الخاص. وهذا ما لم استطع تحقيقه هنا. هل تفهم قصدي؟
أومأ لوك برأسه وسأل بسرعة وكأنه يفهم نفسيته ويستجوبه:
ـ هل أنت متزوج؟
احتقن وجه ليف، وشعرت بعيني رايان تنظران اليها قبل ان يجيب.
ـ نعم، أنا متزوج.
التقط لوك شوكته، ثم ألقاها ثانية وبدا وجهه الصغير جاداً عندما قال بهدوء:
ـ هل انت حقاً والدنا؟
ـ لوك، قلت انك لن تتحدث بالأمر كيلا تنزعج والدتنا.
همست ميلي بينما كانت تلتفت نحو والدتها لترى ان كان ذلك صحيحاً.

بعد أن ألقى السؤال الذي كان يناقشه رايان مع ليف، اختفت مظاهر الشجاعة من وجه لوك الصغير، وأصبح رقيقاً حساساً. وكان طفلاً يطأ بتردد عالم الكبار.

سأل رايان بهدوء:

ـ وهل تنزعج اذا اخبرتك انني والدك؟

قالت ميلي بحنان:

ـ اشعر انك ستكون أباً لطيفاً.

ابتسم رايان لها والتفت يحدق في ابنه، ثم قال:

ـ ما رأيك يا لوك؟

ـ اظن ان الوضع سيكون على ما يرام معنا، ان كان كذلك بالنسبة الى أمي.

نظر الى والدته التي لم تستطع كبت دموعها، ثم سأل:

ـ ولكن لماذا تركتنا؟

ـ لوك...

بدأت ليف، لكن رايان أسكتها بايماءة من رأسه.

ـ هذا سؤال جيد. كانت لدي أسباب تدعوني للذهاب في ذلك الوقت، لكن من الصعب ان اشرح لكما ذلك الآن. فالكبار يخطئون أيضاً، وهم يقولون ويفعلون أشياء من الصعب ان يفهمها الأطفال.

ـ وهل تشاجرت مع أحد؟

ـ تقريباً...

ـ وهل ستبقى هنا الآن؟

ـ لا أدري. ولكن أود ان نصبح اصدقاء طالما اني هنا، وان نتعرف جيداً على بعضنا البعض. ما رأيك في ذلك؟

التفت لوك نحو والدته قائلاً:

ـ أمي، هل يناسبك ذلك الوضع؟

ـ طبعاً!

ـ اذن لن نكون الطفلين الوحيدين في الصف من دون أب.

قالت ميلي مبتسمة، فيما تطلعت ليف بعينين يملأهما الألم الى ابنتها، فهي لم تكن تعلم ان التوأمين يعرفان الحقيقة.

أما لوك، فقال بوجه محتقن:

ـ لم يكن وضعنا سيئاً. بعض الآباء يعامل أطفاله بقسوة. وكان العم جويل معنا دائماً. انه انسان رائع حقاً.

مر المساء بسرعة وبهجة، ولم يلاحظ الطفلان اللحظات المتأزمة التي كان الكبيران يواجهانها. وحين لاحظت ليف انهما يتثاءبان، اعلنت انه حان وقت النوم، وبالتالي ضرورة العودة الى المنزل. كانت تشعر انها استنزفت عاطفياً بعدما انتهى كل شيء. ثم ما لبث ان انهمر المطر بغزارة. عندئذ فتح رايان باب الغرفة ليعود ويغلقه بسرعة قائلاً:

ـ ستتبلل خلال ثوان قليلة اذا ما غادرنا الآن. علي ان اغطي مركب التجذيف كي لا يمتلىء ويغرق.

ثم اسرع الى الغرفة الواقعة في مؤخرة السفينة ليعود مرتدياً بدلة السباحة.

سألته ليف:

ـ هل تحتاج الى أية مساعدة؟

ـ لا، شكراً. ساعود بعد قليل.

عندما رجع، كانت السماء تمطر بغزارة اكثر، فناولته ليف منشفة ليجفف نفسه. قال وهو يفرك شعره:

ـ يبدو ان المطر لن يهدأ الآن. لماذا لا نبقى على متن المركب الليلة؟ يمكنك النوم مع ميلي في الغرفة الخلفية، وأنا اشارك لوك الغرفة الامامية.

ابتسم لوك وقال:

ـ هائل!

اما ميلي، فانها قالت بارتباك:

ـ لكننا لم نحضر ثياب النوم.

رفع رايان حاجبه وقال:
- يمكنك النوم بثيابك العادية. وأنا سأعير والدتك أحد قمصاني.
- قميص؟
ضحكت ميلي وهي تضع يدها الصغيرة على فمها واردفت:
- سوف تبدين مضحكة يا أمي.
قالت ليف:
- يجب ان نعود في الصباح الباكر. فعلى لوك ان يلعب كرة القدم.
- هل تستطيع... حسناً، تعال وأحضر المباراة ان كنت تود ذلك، هذا ان لم يكن لديك عمل.
احمرت وجنتا لوك وهو يحدق في والده. ثم اضاف:
- بعض الاولاد يلعب جيداً.
- اعتقد ان لوك هو أفضل لاعب.
قالت ميلي، بينما ازداد وجه أخيها احمراراً.
قال لوك مضيفاً:
- في بعض الاحيان يأتي عمي جويل وجدّي لمشاهدة المباراة.
- أحب ذلك كثيراً.
ثم استدار قبل ان تستطيع ليف ان ترى ما اذا كان يعني ما يقول.
قال لوك:
- دينو يلعب مع فريقي أيضاً. خالتي ماريا وعمي مايك يذهبان عادة لمشاهدة المباراة.
داعب رايان شعر لوك قائلاً:
- يبدو انك تستمتع باللعب.
اشرق وجه لوك فرحاً وهو يقول:
- انها مباراة رائعة.
- تعال يا لوك كي أضعك في السرير قبل ان اذهب للنوم مع ميلي.
قالت ليف وهي تسير الى الغرفة المقابلة لغرفة رايان.
- هل كان مناسباً ان اسأل...

توقف لوك، ثم قال بصوت منخفض:
ـ هل تعتقدين انه لا يمانع في ان نناديه بابا؟
ـ كلا. كلا، انا متأكدة انه لن يتضايق اذا كنت تريد ذلك.
قالت وهي تحاول ان تشغل نفسها بترتيب الاغطية على السرير.
ثم سأل وهو يراقب وجه أمه:
ـ حسناً. وهل من المناسب ان ادعو بابا الى حضور مباراة كرة القدم؟
ـ طبعاً. لكن يجب ان تتذكر ان والدك رجل أعمال، وربما لن يستطيع المجيء دائماً.
ثم انحنت تقبله سائلة:
ـ لوك، كيف اكتشفت انه والدك؟ هل أخبرك أحد بذلك؟
بدا لوك مرتبكاً قليلاً:
ـ ليس تماماً. سمع دينو احد التلاميذ يتحدث عن ذلك في المدرسة. فسألني ان كان ذلك صحيحاً، ومن ثم اكتشفت الحقيقة.
ـ آه، فهمت الآن.
ـ هل انت غاضبة يا أمي؟
ابتسمت له وقالت:
ـ لا، طبعاً لا. والآن، اذهب للنوم يا عزيزي. أراك في الصباح.
عادت ليف ببطء الى الغرفة الخلفية، واستطاعت ان تسمع ضحكة ميلي عبر الممر.
ـ جاء والدي بقميص لك، وعليه رسم لبيت في فيجي. أليس جميلاً؟
ـ شكراً لك...
رفعت ليف ذقنها قليلا. اذ لم تكن تريد ان تقرأ التعبير الذي يخيم على عينيه. وكان التوتر الذي يسيطر عليهما، يمتد ليشمل الغرفة كلها.

- ارجو ان لا تقلقي. اراك في الصباح.
وما كاد يخرج حتى سمع ميلي تقول:
- أبي، ألن تتمنى لي ليلة طيبة؟
ثم قفزت من سريرها وهي تقترب منه واردفت:
- ان أمي تحضننا دائماً قبل النوم.
انحنى رايان فوق السرير، والتفت ذراعا ميلي حول عنقه وهي تقول:
- ان وجود الأب الى جانبنا أمر رائع.
- وكوني أباً أيضاً أمر رائع.
قال ببساطة ثم التفت الى ليف قائلاً:
- وماذا بشأن الماما، ألا تريد ليلة طيبة أيضاً؟
- كلا، شكراً.
قالت بفظاظة. اذ آخر ما تريده هو ملامسته.
- لكنني أصر على ذلك.
قال وانحنى نحوها بسرعة.
- ليلة سعيدة يا ليف.
ثم غادرهم بهدوء.
ارتدت ليف قميص رايان، فشعرت برائحته تزحف لتثير مشاعرها. استلقت مستيقظة في السرير الذي نامت عليه اثناء رحلتهم الى جزيرة كرافن، وهي تتمنى لو انه ينام بجانبها مثلما فعل في تلك الليلة. كانت تريد ان تشعر بدفء قوته.

لم تتهرب ليف ابداً من مسؤوليتها نحو التوأمين خلال السنوات السبع الماضية. ولم يكن تحمّل تلك المسؤولية بالأمر الهين بالنسبة الى فتاة في سن السابعة عشرة. أما الليلة، فهي تشعر بثقل تلك المسؤولية، الثقل الذي لم تتنبه لوجوده. غمرها شعور مريح حين اصبح هناك من يستطيع تخفيف العبء عنها ومساعدتها وقت الحاجة.

وبرغم انها كانت تعتمد على جويل في كثير من الأمور، وخاصة بعد وفاة والدها، الا انها كانت تشعر بالقلق والاضطراب في داخلها. فاجتاحتها موجة من الاشتياق والحاجة الملحّة، او حتى السماح لنفسها بالاعتماد على رايان.

فربما كانت هي بحاجة اليه، أو بحاجة الى شخص يساعدها في اتخاذ القرارات المتعلقة بالطفلين، خاصة حين يكبران. ما كان عليها الّا الذهاب اليه الآن وأخباره بأنها تريد...

لكن هل هذا ما يريده رايان؟ لقد ادعى انه يريدهم الى جانبه، ولكن هل يعرف تماماً ما هو مقدم عليه؟ وهل وجوده السريع ضمن عائلة سيدفعه الى الرحيل ثانية؟ في الأسبوع الماضي، قال انه سوف يرحل بعد ما يبدأ مشروع البناء. بدأت ليف تفكر بالأثر الذي يمكن ان يخلفه رحيله على الطفلين وعلى نفسها. لن يكون الأمر سهلاً. ان رحيله في هذا الوقت سيكون اكثر ايلاماً مما كان عليه منذ ثماني سنوات.

كلا، يجب ان لا تستسلم، وان تسيطر على نفسها وتتذكر دائماً انه ما يزال كما هو... لا يمكنه تحمل المسؤولية، سيما وانه الآن اصبح رجلا اكثر خطورة ونفوذاً.

افاقت ليف باكراً والظلام ما يزال مخيماً. وحين تطلعت عبر نافذتها الى السماء المكفهرة، استطاعت ان ترى ان المطر توقف عن الهطول. تثاءبت بارهاق بعد تلك الليلة المتعبة وخرجت تغسل وجهها وتبحث عن كوب من الحليب.

كانت تغسل وتجفف الكوب الذي استخدمته حين سمعت صوتاً رقيقاً خلفها. التفتت لتجد رايان يقف منحنياً على الباب وهو يرتدي سروالاً قصيراً.

ـ اعتقدت انني سمعت ضجة، فخرجت لأرى ان كانت ميلي هي التي استيقظت.

ـ كلا، ما تزال ميلي مستغرقة في النوم.

شعرت ليف وكأن قلبها قفز الى فمها وهي تحدق فيه.
قال وهو يفرك خده الخشن بيده:
ـ وكذلك لوك.
ـ كنت أتناول كوباً من الحليب.
أومأ برأسه وعيناه تجولان عليها وقد ارتدت قميصه الفضفاض الطويل.
ـ يبدو هذا القميص أجمل عليك.
جاءت نبرته لامبالية.
أحست ليف بالتأزم يتفاقم بينهما، فقالت:
ـ سأعود الى النوم.
قال وهو يقترب منها:
ـ وهل نمت جيداً؟
ـ نعم، شكراً لك يا رايان.
ـ ألن تسأليني كيف نمت؟
انتقلت نظرات ليف الى عينيه الزرقاوين.
ـ لم استطع النوم ابداً. كان هناك ما يقلقني. كنت افكر بك واتخيلك ترتدين هذا القميص وانت نائمة في الغرفة المقابلة.
ـ رايان، في الليلة الماضية قلت لي...
ابتعدت ليف عنه، لكنه تبعها، رغم انه لم يلمسها.
ـ اعرف ما قلته الليلة الماضية. من المؤكد انني مجنون.
ثم مسح شعره بيده، وتابع قائلاً:
ـ يا الله، هل تعلمين ماذا يعني وجودك نائمة، هناك، قريبة جداً مني ولا استطيع الاقتراب منك؟
كان صوته غليظاً ومنخفضاً، وتحركت يده واحتضنت وجهها. ثم قال غاضباً:
ـ لا أظن انك ستغيرين رأيك؟
ارتجف قلب ليف. ليته يشعر فقط كم هي تريد ان تقول نعم!

ولكن اذا هي استسلمت، ستكون كالمعجون بين يديه، وباستطاعته ان يكيفها ويؤثر عليها بسهولة. وعندما يحين وقت الرحيل، سيذهب من دون ان يلتفت اليها، مثلما فعل سابقاً. فاتخذت قرارها الحازم:

ـ كلا يا رايان.

تنفس رايان بعمق، بينما لاحظت ليف الصراع الداخلي الواضح في عينيه قبل ان يستدير ويبتعد عنها قائلاً:

ـ اذن، من الأفضل ان تعودي الى النوم قبل ان اغير رأيي وأقرر تغيير رأيك.

٩- رجل يحقق ما يريد . . .

كان على رايان أن يعود الى بريسباين ثانية، لذلك لم يلتقوه في الأسبوع التالي. ولهذا السبب شعرت ليف بالراحة، لأنها كانت كلما رأته ازدادت حساسية.

اشترت ليف، بمساعدة ماريا، ثوباً جديداً باهظ الثمن، حسبما طلب منها رايان. وحين تهيأت للحفلة، بعدما أبقت التوأمين في بيت ماريا، غمرها فرح شديد لارتداء هذا الثوب الأنيق. وتمنت لو انها تستعيد ثقتها بنفسها وتتخلص من عصبيتها وهواجسها.

أحست بالارتياح لأن رايان لن يمر لاصطحابها الى الحفلة، اذ اتصل بها واعتذر منها بسبب انشغاله بأمور ضرورية لم يكن يتوقعها. وبالتالي سيقوم جويل بهذه المهمة نيابة عنه.

استعدت ليف وكحلت عينيها بكحل أزرق، فيما تركت شعرها الذهبي اللامع، بتموجاته الطبيعية، ينسدل بنعومة على كتفيها. وكانت تعلم ان الطريقة الوحيدة للاستمتاع بالسهرة هي ان تحاول الاسترخاء قدر الامكان. ولما حان موعد وصول جويل، تجاذبتها فكرة التراجع. وتمنّت لو انها رفضت دعوة رايان. لكنها قبلت بها، وعليها ان تلبّيها.

- هل تعلمين انك ستدهشين الجميع الليلة يا ليف؟

اشار جويل وهو يمسك بذراعها ويسير معها الى قاعة الفندق.

- لم ارك بهذه الجاذبية من قبل، بالرغم من انك دائماً جذابة.

- أراهن انك كنت تتمرن على القاء هذا الخطاب طوال الطريق.

تأثرت ليف بمجاملاته الصادقة، وتابعت:

- ان المظهر يخدع احياناً لكن الجوهر يبقى أصدق دائماً. المظهر هو ما فكر به رايان عندما طلب مني أن أكون مضيفته.

قال جويل ضاحكاً:

- المظهر هو ما يفكر به كل رجل في كل مناسبة، صدقيني. سيحسدني كل شاب حين أقدمك الى المدعوين، بمن فيهم رايان. فما هو قولك؟

قالت ليف بجفاف:

- قولي هو انك رومنطيقي دائماً يا جويل دانيسون.

ضحك جويل ثانية، ثم توقف أمام الباب يسوي ياقة سترته، وقال:

- هيا بنا ندخل. اذا كان رايان يعتمد عليك في تمرير آرائه، فستكون النتيجة مضمونة.

ربت على يدها الممسكة بذراعه ودخلا قاعة الاجتماع.

كانت القاعة تعج بالمدعوين الذين تعرف ليف معظمهم. كان هناك الحاكم وعدد من المستشارين مع زوجاتهم، بالاضافة الى اصحاب ومديري الاعمال.

نظر الجميع الى ليف وجويل بحماس واهتمام. وما كادا يخطوان داخل القاعة حتى استوقفهما ترحيب الاصدقاء. كان جويل محبوباً لدى الجميع في المنطقة. واندهشت ليف للاهتمام الذي يبديه الجميع بشأن المصالحة بينها وبين رايان. لم يسأل احد اية اسئلة محددة، بل طافت النظرات بفضول من ليف وجويل الى رايان.

لم يمض بعض الوقت حتى اعتذر رايان الى مجموعة من اصدقائه واتجه نحوهما. وكانت ليف رأته فور دخولها الى القاعة. وشعرت بأن هناك شيئاً ما يجذبها نحوه. كان يرتدي بدلة سوداء وقميصاً فاتحاً. وبدا وسيماً مبتهجاً كالعادة. لاحظت ليف اهتمام معظم الضيوف به لأنه اثار جواً من الثقة والقدرة على الاعتماد عليه.

وسط نظرات الجميع السرية، صافح رايان جويل، ثم تأبط ذراع ليف وقال:

ـ شكراً لك يا جويل لأنك اتيت بليف.

حاولت ليف سحب ذراعها، لكنه امسك بها بقوة وأبقاها الى جانبه من دون ان تتغير ملامح وجهه. ثم انضما الى مجموعة من الضيوف.

ابتسم رايان وهو يعرّفها الى شخص بارز في المجموعة:

ـ كيم، أود ان اعرفك بزوجتي ليف. هوذا كيم سوكونا يا عزيزتي، شريكي وصديقي الحميم.

وبينما كانا يتصافحان، لاحظت ليف ان روكو يحدق برايان وكأنه أصيب بالجنون.

ـ هل انت وليف متزوجان؟

أجاب رايان ببساطة:

ـ نعم، كنا منفصلين معظم الوقت، لكننا الآن اجتمعنا ثانية.

ـ هل يمكنني أن أناديك ليف؟ باستطاعتك ان تناديني كيم.

سأل السيد سوكونا، بينما لمعت اسنانه البيضاء في وجهه الأسود المرح. وأضاف:

ـ تذكرتك الآن، انني رأيت صورتك مع رايان. فهو يحملها دائماً معهُ. اشعر انني اعرفك سابقاً. اذ كان رايان يحدثني عنك دائماً. اعتقد ان لديكما طفلين جميلين أيضاً.

قالت ليف وأنفاسها تتقطع:

ـ نعم، نعم، لدينا بنت وصبي.

ـ آه، زوجان حميمان. مثلي انا وزوجتي، عندنا ابنة أصغر بقليل من ابني روكو.

قال وهو يضع يده على كتف روكو.

وهنا جاء دور ليف لكي تندهش:

ـ لا تبدو انك والد روكو يا سيد سوكونا. . .

ضحك كيم بمرح وقال:

ـ شكراً لك يا ليف. انت أيضاً لا تبدين اكبر بكثير من ابنتنا أو من ابنة أختي إلسي.

نظرت ليف بسرعة الى إلسي التي كانت تتحدث الى مجموعة من الشبان، فرأتها رائعة الجمال بثوبها الابيض المزين بأزهار الخبازي. لم تكن تدري ان كان رايان قد أخبرها بأنها زوجته، أو انه تركها تكتشف ذلك بنفسها. واذا كانت هنالك أية علاقة بينهما، فبامكان رايان ان يجد طريقة أقل ايلاماً للاعتراف لها بذلك.

سأل جويل السيد سوكونا:

ـ هل زوجتك معك؟

ـ للأسف لا. اذ عليها البقاء بعض الوقت في سوفا للعناية بابنتنا التي ولدت حفيداً لنا.

والتفت الى دانيسون الأب وأضاف:

ـ جميل ان يشعر الانسان بوجود حفيد يخلفه في الحياة، الا تعتقد ذلك يا سيد دانيسون؟

نظر دانيسون الأب قليلاً الى ليف وأجاب مبتسماً:

ـ نعم، نعم. انني فخور جداً بحفيديّ.

هل أصيب الجميع بالجنون؟ تساءلت ليف. فهي لم تر دانيسون الأب بمثل هذا الاستسلام والرضى.

كان العشاء فاخراً ولذيذاً. وبلغ عدد الضيوف نحو المئتين. بدا ان السهرة تمر من دون أي تعقيد. اما ليف، فانها وجدت نفسها تتوسط الحاكم والمستشار الأعلى الذي عرفت انه صديق والدها.

لم يشرح رايان وكيم سوكونا خطط تحويل جزيرة كرافن الى منتجع سياحي الا بعد انتهاء العشاء. كان رايان هو المشرف على المشروع، بينما كان كيم سوكونا مسؤولاً عن وسائل الراحة والتسلية. اما سكوت مالوري الكندي الأصل، فانه سيدير القسم المخصص للأطفال.

استمعت ليف الى رايان وهو يوجز أهداف المشروع، واعترفت انه سيكون مصدر نفع للجميع. فالمشروع يشدد على أهمية توفير الراحة لكل افراد العائلة اثناء قضاء ايام العطل، حيث باستطاعة الأهل ان يقضوا اوقاتهم مع اطفالهم او بعيداً عنهم، لأن الاطفال سوف يكونون تحت اشراف اخصائيين. من جهة اخرى، سيوفر المشروع الكثير من الأعمال لسكان الجزيرة المحليين.

وافق معظم الحاضرين على مشروع المنتجع السياحي بحماس واهتمام. لكن زمرة صغيرة اعترضت عليه وقدمت اسئلة مناهضة له. وقد فوجئت ليف عندما وجدت مارتن ويلسون بينهم. فهي لم تلتق به او تسمع عنه شيئاً منذ لقائه الأخير مع رايان، حتى انها لم تتنبه الى وجوده في الحفلة.

أجاب رايان على آرائهم السلبية بروح ايجابية، مما جعلهم يتخلون عن محاولاتهم لاحباط المشروع. بدا الحاكم مسروراً جداً، حتى انه خاطب ليف:

ـ أتعلمين يا سيدة دانيسون اننا في أمس الحاجة الى مراكز تسلية عائلية، ويبدو ان زوجك يوافقني على رأيي. فهو لكونه متأهلاً، يشعر بأهمية هذا المشروع.

وفيما كانت ليف تتأمل رايان وهو يشرح احدى النقاط التي أثارها احد المستشارين، خطرت لها فكرة، هل ينوي رايان ان يعود الى عائلته لكي يؤكد للجميع انه الشخص المؤهل لتنفيذ مشروع يناسب العائلات؟ شعرت ليف وكأن يداً مثلجة تقبض على قلبها، لكنها طمأنت نفسها بأن رايان لا يمكن ان يسلك تلك الطرق الشائنة لتحقيق مآربه.

بعد ذلك انتقل الجميع للاطلاع على الخرائط والمخططات والاشكال الهندسية المقترح انشاؤها، بينما كان رايان يتحدث بثقة وهو يشير الى بعض المقاطع لتأكيد مقترحاته.

ـ حسناً يا ليف، يبدو زوجك عظيماً الليلة.

ظهر مارتن من بين الحشد، وقد احمر وجهه قليلاً.

قالت وهي تبحث عن عذر لتتهرب منه:

ـ نعم. لقد بذل جهداً كبيراً في سبيل تحقيق مثل هذا المشروع.

ـ يقول المثل: المال ينطق في كل اللغات.

قال مارتن وهو يمسك بياقة سترته. وأضاف:

ـ كما ان الطعم لذيذ حين تحاولين الصيد.

ـ عما تتحدث يا مارتن؟

ـ انه يتعهد بالحصول على المزيد من الأموال من أجل العمل، وعلى المزيد من الوظائف من أجل العمال، وأخيراً، بتوفير الرفاهية لك.

ـ الرفاهية... ما الذي تحاول قوله يا مارتن؟

ـ ربما المدرس البسيط لم يعد يناسبك. ربما اصبحت لديك سمكة أكبر للطهي.

ـ انت سافل. فأنا لم أعدك بشيء. انت تعلم ذلك جيداً.

قالتها ليف بسخط.

ـ ما المشكلة يا ليف؟

سألها جويل حين انضم اليهما، بعدما لاحظ تعابير السخط بادية

على وجهها ووجه مارتن المحتقن.

ـ لا شيء. كان مارتن على وشك الذهاب.

التفتت نحوه وهي تقول هذا، بينما سأل جويل حين ابتعد مارتن غاضباً:

ـ ما الأمر؟

ـ لا شيء يستحق الذكر.

رشفت ليف قليلاً من كأسها وأضافت:

ـ ربما كان حاقداً.

بعد فترة صمت قصيرة، قال جويل وهو يتفحص الحاضرين في القاعة:

ـ يبدو ان هنالك تطوراً ايجابياً الليلة.

ـ ساورني الشعور نفسه. هل تشك في ذلكْ؟

ـ لا، بالعكس، انني اعتقد ان افكار رايان عظيمة، حتى ان والدي تقبّلها برحابة صدر. لقد استطاع رايان الدخول الى عالم الكبار.

ابتسمت ليف وقالت:

ـ وماذا عنك يا جويل؟

ـ انا؟ ما زلت ولداً... لا تقلقي يا ليف، فأنا سعيد هكذا. لم يكن والدي قاسياً معي مثلما كان مع رايان. اعتقد ان شخصيتيهما المتماثلتين تتنافران.

ـ جويل، عرّفني بهذه المخلوقة الساحرة.

لم يلاحظ جويل الشاب الذي اقترب منه حين كان يتكلم، بينما احمرت وجنتا ليف ازاء نظراته المعجبة بها.

ـ أهلاً بك يا سكوت! متى وصلت؟

كان الشاب طويلاً مثل جويل، ذا شعر أسود مجعد وشاربين مقصوصين بعناية.

ـ وصلت منذ خمس عشرة دقيقة. تأخرت طائرتي، وفقدت

الاتصال مع سيدني. كنت سأحزن كثيراً لو علمت ما سأفتقد هنا.
قال سكوت ذلك وهو ينظر بعينيه العسليتين اللامعتين نحو ليف.
- من الواضح انك لم تتغير كثيراً خلال السنوات الماضية يا سكوت. فهل ما زلت فتى عابثاً؟
- كفى! ستشوه صورتي أمام أجمل فتاة في العالم.
تطلع جويل بدهشة نحوه، ثم امسك بيد ليف اليسرى ليظهر خاتم الزواج، قائلاً:
- آسف يا صديقي لأنني سأعرفك على زوجة أخي، ليف دانيسون. هذا الفتى العابث هو سكوت مالوري الذي تعرفت اليه منذ عشر سنوات تقريباً.
نظر سكوت بحزن الى خاتم ليف، ثم هز كتفيه وهو يقول:
- حسناً. سأستغل غياب زوجك لأعبر لك عن أسفي الشديد لأنني لم ألتق بك قبله.
ضحكت ليف غير منزعجة من مزاحه، بينما سأله جويل:
- كيف استطعت العمل مع رايان في مشروعه؟
- التقيت به في الولايات المتحدة منذ سنتين، وعرض علي فكرة المشروع. أعجبتني الفكرة، وقررت العمل معه وانا مقتنع ان رايان يحقق ما يريد تحقيقه بنجاح.
- بالتأكيد.
وافق جويل على كلامه، بينما التفت سكوت الى ليف ثانية.
- اخبريني، ماذا يفعل زوجك؟ اعتقد انه موجود هنا.
- واخيراً وصلت يا سكوت (انضم رايان اليهم) هل كنتم تتحدثون عني؟
سأل وهو يصافح الرجل الكندي.
- نعم. كنت أسأل ليف عن الشخص الذي استطاع ان يفوز بها.
لم يتغير التعبير الذي كسا وجه رايان، لكن عينيه كانتا اكثر

احتراساً وتنبّهاً عندما قال:

ـ لقد صدف ان تزوجتني ليف.

ـ أنت؟ لم أكن اعلم حتى انك متزوج. لا بد ان زواجكما حديث العهد.

ـ في الواقع منذ ثماني سنوات.

أجاب رايان وهو يضع ذراعه حول خصر ليف بطريقة تشير الى امتلاكه لها.

شعرت ليف بالاشمئزاز. اذ كانت تحس وكأنها سلعة تجارية جاهزة للمساومة. قال جويل ضاحكاً:

ـ في الحقيقة، تزوجت أخي رايان لأنها لم تستطع النيل مني. أليس كذلك يا ليف؟

ضحكت ليف معه وقالت:

ـ لقد كانت أول غلطة فادحة ارتكبها.

ـ آسف، علي ان اترككما. اراكما فيما بعد. باستطاعة جويل ان يعرّفك بالمدعوين يا سكوت.

وسرعان ما خرج رايان وليف الى غرفة صغيرة خارج القاعة الرئيسية، ويده تمسك ذراعها بحزم، ثم قال:

ـ كيف تجدين سير الأمور؟

ـ جيدة جداً. لست بحاجة لأخبرك بذلك.

اجابت ليف وهي تعلم انه لم يبتعد بها ليسألها ذلك السؤال. بدا وجهه غامضاً، واستطاعت ان تشعر انه ينتقي كلماته، تلك الكلمات التي لا تود سماعها.

انتابتها موجة من الحزن المفاجىء، وتمنت لو ان الامور بينهما غير ما هي عليه، انها ترغب في ان يكون هناك رباط من الحب المتبادل يربط بينهما بدلاً من تلك النظرات المحترسة.

قال رايان اخيراً:

ـ ارى انك معجبة جداً بسكوت مالوري.

قالت ليف مندهشة:
- يبدو لطيفاً جداً.
- لطيفاً؟
غيّرت نبرة صوته معنى الكلمة.
- نعم، انه لطيف وودود. لم اقابله الا منذ عشر دقائق فقط، وقلما تحدثت اليه، وعلى هذا الاساس، أقول انه لطيف وودود.
قال رايان بصوت رقيق:
- أفضل ان تبتعدي عنه، ان كان ذلك لا يزعجك.
- وان كنت انزعج من ذلك؟
- لا أريد اية تعقيدات من هذا النوع قبل ان نعود الى الحفلة.
سألت ليف بهدوء مخادع:
- تعقيدات من أي نوع؟
- تعرفين ما الذي أعنيه. اعرف سكوت منذ وقت طويل. فهو زير نساء، وله فتاة في كل مدينة. ولا أريدك ان تخطئي في فهم نواياه.
رددت وهي لا تصدق ما تسمع:
- اخطىء في فهم نواياه؟ بالله عليك، كن منطقياً معي! لقد استطعت الاعتماد على نفسي منذ ثماني سنوات، واصبحت قادرة على تفهّم كل انسان والتمييز بين الذئب والحمل. ان صديقك هو انسان ودود وغير مؤذ.
ضحكت ليف ضحكة صغيرة واضافت:
- أؤكد لك انني قررت منذ ثماني سنوات الا أقع بين مخالبه أو مخالب غيره. هل هذه في رأيك كل المشكلة؟ هل أنت مغتاظ لأنني لا انصاع لك بسهولة؟
- ليف، انت تدفعينني نحو الغضب، وانا لن...
- انت هنا يا رايان؟
عندما سمع صوت روكو سوكونا، انزلقت يده عن ذراع ليف

والتفت نحوه.

ـ ان السيدة كرافن العجوز تود ان تراك انت وليف قبل ان تذهب.

ـ حسناً يا روكو. نحن قادمان.

ثم وقف جانباً ليدعها تمر امامه الى قاعة الاجتماع دون ان يمسك ذراعها.

ابتسمت السيّدة كرافن لهما، برغم الارهاق البادي عليها، وقالت:

ـ وأخيراً استطعت كسب الجميع الى جانبك يا رايان.

هزت رأسها الأبيض وتابعت:

ـ تماماً مثلما كنت تقول في الماضي.

ثم التفتت الى ليف الواقفة الى جانب رايان:

ـ لديك زوج قوي الارادة يا سيدتي. فمنذ عشر سنوات تقريباً، حدثني عن خطته بانشاء منتجع عائلي في الجزيرة، اذا ما وافقت على بيعها له. لكنني اشترطت عليه ان يأتيني بالمال الكافي، وان يبرهن لي انه استقر اخيراً.

تطلعت نحو رايان ثانية واضافت:

ـ انك حققت أول مرحلة من حلمك. وأنا انتظر ان ارى المشروع ناجزاً.

ـ انا متحمس جداً أيضاً لانجازه.

ابتسم رايان للسيدة العجوز نفس الابتسامة التي يبتسمها للتوأمين. لقد اعتاد ان يبتسمها لها ذات يوم، لكنه لم يعد يفعل ذلك الآن.

ـ حسناً، يجب ان اعود الى المنزل لأريح عظامي المتعبة. أطلت السهر وأنا غير متعودة عليه. انني سعيدة لعودتك الى ليف. ارجو ان تحضر الطفلين لرؤيتي ذات يوم. في الحقيقة، عندما اخبرني رايان انكما تركتما الخلافات جانباً، فرحت كثيراً. فانا أؤمن بأن الزواج

السعيد يصنع الرجل الناجح. ان رايان يذكرني بزوجي السابق الذي كان يحتاجني في كل خطوة يقدم عليها.

ابتسم لها رايان وامسك بذراعها قائلاً:

- سأوصلك الى سيارتك. عن اذنك يا ليف.

- اتمنى لك ليلة سعيدة يا عزيزتي.

ربتت السيدة كرافن على ذراع ليف، ولما لاحظت الاضطراب المسيطر عليها، سألتها:

- انه عفريت وسيم، أليس كذلك؟

ثم التفتت ناحية رايان قائلة:

- تذكر ان تأتي لرؤيتي عندما تسمح لك الظروف.

وقفت ليف تراقب رايان وهو يساعد السيدة العجوز على السير بين الحاضرين. كان شعره يلمع تحت الاضواء وهو ينحني ليستمع الى ما تقوله السيدة كرافن. فشعرت ان جسمها تخدّر كلياً. اذ علمت الآن لماذا يريدها رايان الى جانبه في هذه الليلة. كان يريد ان يبرهن للسيدة العجوز ان ما حدثها به صحيح، وانهما الآن على وفاق تام. انه استخدمها وطفليها كي يختتم بهم عملية الشراء التي عجز عن تحقيقها عدد كبير من الاثرياء. لقد استخدمها ثانية من اجل تحقيق مآربه.

تسرب الألم الى نفسها من جراء تلك الافكار المريبة، وأحست انها تكاد تصاب بالشلل. فوقفت الى جانب الطاولة مستندة الى الحائط. ثم تناولت كوباً من العصير البارد كي تخفف اضطرابها. وفيما هي كذلك، تضرعت الى الله ان لا يلاحظ أحد حالتها. اذ انها على غير استعداد لتحمّل اي نوع من الاستجواب في تلك الدقائق.

وبرغم انها وبخت نفسها للاهتمام الزائد به، الا ان ألمها كان يزداد عمقاً، بحيث لم تستطع السيطرة عليه. لعنت نفسها لأنها كانت حمقاء. كان رايان دائماً قاسياً، فلماذا تظن انه تغيّر؟ ألم يستخدم كل انسان من اجل تحقيق مآربه الشخصية؟ والآن، يلجأ

الى أسلوبه الانتهازي ثانية.

لم تستطع البقاء، لأنها ان رأت رايان مرة ثانية، فسيزداد غضبها وألمها. لذلك قررت ان يوصلها جويل الى المنزل. أعادت الكوب الذي قلما رشفت منه شيئاً، والتفتت نحو القاعة المزدحمة بحثاً عن سلفها. لكنها لم تجده، برغم بحثها الدائب عنه. وكذلك لم تجد سكوت مالوري او عمها.

ـ هل تبحثين عن أحد يا اوليفيا؟

سأل مارتن الذي بدا طبيعياً بعدما خمد غضبه واختفى شحوب وجهه.

سألته عابسة:

ـ لم اجد جويل. ألم تلتق به؟

ـ خرج منذ قليل كي يوصل عمك الى البيت ومعهما رجل طويل ذو شعر أسود كثيف.

ـ ان هذا هو سكوت مالوري. يا الله، كنت أريد ان اطلب منه ايصالي الى البيت. فأنا اشعر بالصداع.

قالت وهي تشعر انها تتحدث اليه بصدق. فهي حقاً تعاني من ألم يحيط بعينيها.

ـ ساوصلك أنا اذا كنت تودين ذلك.

حدقت ليف به بحذر. ففي مطلع السهرة كانت تظن انه غير متزن. لكنه الآن يبدو اكثر تعقلاً. ربما يكون غضبه مسؤولاً بعض الشيء عن عدم اتزانه. مع ذلك، من الأفضل ان تنتظر عودة جويل.

ـ شكراً لك يا مارتن. يمكنني ان اصبر حتى يعود جويل.

ـ ليست هناك اية مشكلة، كنت على وشك الذهاب أيضاً.

ترددت ليف قبل ان توافق:

ـ حسناً... حسناً، سأخبر كيم سوكونا انني ذاهبة لكي يعرف جويل انني عدت الى المنزل.

ـ طيب، سأنتظرك عند الباب.

مضت عدة دقائق قبل ان تجد ليف كيم وسط الحشد. وحين عادت الى مارتن، انتابها شعور بالاضطراب. اذ ظهر رايان في الممر، وكانت عيناه تتحركان بسرعة من مارتن اليها.

سأل مارتن:

ـ هل انت جاهزة يا اوليفيا؟

ـ نعم يا مارتن.

استطاعت ليف ان ترى عيني رايان تتوهجان. وكان عليها ان تتوقف. اذ كان مسمراً في مكانه، يسدّ الطريق امامها. وفيما هو يحدق بها، شعرت انها ملزمة بتبرير ذهابها.

ـ قررت العودة الى البيت الآن يا رايان. فأنا اشعر بالصداع. اقترح مارتن ان يوصلني لأن جويل ذهب ليوصل أباك.

ـ أجل، اعرف ذلك. كنت اتحدث اليه في الخارج.

ثم انتقلت عيناه الى مارتن، وقال:

ـ سأوصلك انا اذا انتظرتني لحظة.

حاولت ليف ان تبتسم:

ـ لن يتضايق مارتن من ايصالي، أليس كذلك يا مارتن؟

ـ بالطبع لا. حسناً، عن اذنك يا دانيسون.

اتجه مارتن الى الامام، وظنت ليف للحظة، ان رايان سيستمر في الوقوف في طريقها، لكنه تنحى جانباً بهدوء وبرود.

أشار مارتن وهو يقول:

ـ أمسية ناجحة. لا شك انك سعيد.

اثارت نبرة مارتن اشمئزاز ليف. أجابه رايان بفم مشدود وعينين تتحركان نحو ليف:

ـ نعم، انا سعيد للغاية. الى اللقاء يا ليف.

ارتعشت ليف وهي تمر امامه، وكأنها تشعر بغضبه يمتد ليصل اليها ويلامسها.

ـ آسف لأنني لم استطع السيطرة على نفسي في بداية السهرة يا اوليفيا.

قال مارتن وهو يقود سيارته حول الخليج وتابع:

ـ فأنا لم أفهم ما اصابني... آمل ان تغفري لي.

تنهدت ليف وهي تتمنى لو انه يزيد من سرعة سيارته. كانت تريد ان تصل الى بيتها وان تبقى وحيدة. اذ ان تقدّم مارتن البطيء والرزين أثار اعصابها.

ـ انني نسيت الأمر تماماً.

ـ هذا شيء لطيف جداً يا اوليفيا. اود ان أقول انني نادم على تدهور صداقتنا.

رفعت ليف نظرها عن يديها المعقودتين في حضنها، وحدقت في الظلام لترى منزلها امامها. تنهدت بارتياح وقالت:

ـ شكراً لك يا مارتن. ان الخطأ خطأي. فأنا لم اكن اريد ان اناقش أمر زواجي مع أحد. قال مارتن بلطف:

ـ ليس من الصعب تفهّم ذلك. اعتقد انه وصل فجأة؟

ـ نعم، فجأة.

ثم فتحت باب السيارة قبل ان يتسنى لمارتن اطفاء المحرك وأضافت:

ـ شكراً جزيلاً لأنك اوصلتني.

ثم ترجلت من السيارة بسرعة.

ـ بكل سرور يا اوليفيا.

توقف مارتن وهو يحاول ان يقرر عما اذا كان سيدعو نفسه للدخول.

ـ حسناً، مساء سعيداً. ارجو ان تتخلصي من الصداع.

هرعت ليف الى الداخل وهي تزفر بارتياح. اذ كانت تتوقع ان يدعو مارتن نفسه لتناول فنجان من القهوة، الأمر الذي تود ان تتجنبه بأي ثمن. فهي لن تستطيع ان تتحمل اسئلته او نصائحه

المنافقة.

دخلت غرفتها وخلعت حذاءها بسأم، ثم تحركت نحو المرآة حيث أزالت زينتها ولاحظت كم كان وجهها شاحباً وعيناها ذابلتين.

اتجهت الى سريرها بكسل والألم يعصف برأسها. كانت بحاجة الى فنجان من الشاي الساخن، فاستجمعت قواها ونهضت كي تحضره. غسلت وجهها بالماء البارد قبل ان تضع الماء على النار، وهي ترفض ان يتوقف تفكيرها عند تلك الأمسية أو على وجه رايان البارد حين غادرته.

حملت فنجان الشاي، الذي كان البخار يتصاعد منه، الى غرفة الجلوس وارتاحت على كرسيها المفضل واحتست الشاي الدافىء. كانت تشعر بضرورة اللجوء الى النوم، لأن ماريا ستعود بالطفلين في الصباح الباكر، لكن الاستحمام وتبديل الملابس يحتاج الى بعض الجهد، فأراحت رأسها وهي مغمضة العينين.

استفاقت فجأة لدى سماعها صوت انغلاق باب سيارة. ظنت في البدء انه مارتن، لكن قبل ان تصل الى النافذة، رأت المرسيدس الفضية قابعة على جانب الطريق، تلمع تحت ضوء القمر. كانت متأكدة منذ الدقيقة التي تركته فيها انه سيلحق بها.

لكن حين قرع الباب، وقفت ليف مشدوهة من دون ان تحدث أي صوت. لكنه أعاد الكرة، وبعنف.

- افتحي يا ليف!

قال بنبرة آمرة، فوجدت نفسها في الممر سائرة نحو الباب.

- افتحي الباب يا ليف، او اقسم انني سأخلعه!

ارتجف صوت ليف وهي تقول:

- رايان، ان الوقت متأخر، وانا على وشك الذهاب الى النوم.

- ليف...

جاءت الكلمة هادئة رزينة، ففتحت الباب على مضض.

كان يتكىء بيد واحدة على طرف الباب وقد خلع سترته وربطة

عنقه. وكان قميصه مفتوحاً قليلاً، وشعره مشعثاً.
اعتدل رايان، فيما انتحت ليف جانباً ليدخل قبل ان تغلق الباب وتلحق به الى غرفة الجلوس. قررت ان تبادر الى الهجوم لكي تدعه يعرف انه لن يستطيع ارهابها.
- هل تسمح بقول ما تريد، ومن ثم تنصرف؟ فأنا متعبة وليس لي اي مزاج لتبادل الاهانات معك.
ابتسم ساخراً ويداه على خصره:
- اليك ما اريد قوله، انت شخصية فذة، وهذا ما لم اكتشفه منذ ثماني سنوات.
- ربما لم تحاول ان تكتشف ذلك.
حدق بعينين ضيقتين واجابها:
- ربما نعم وربما لا. كنت احسب ان مارتن ويلسون هنا. لكنه كما يبدو ذهب؟
تغيرت لهجته ليبدو بريئاً.
قمعت ليف فورة غضبها بصعوبة بالغة، ثم قالت:
- أوصلني مارتن الى البيت وغادر فوراً. اذ شعر انني مرهقة.
- أظن انه في طريقه الى الجنة بعدما انفتح له بابها ثانية!
سألت بايجاز:
- ما الذي تقصده من قولك هذا؟
هز كتفيه بغرور وتطلع عبر النافذة:
- كفى تفكيراً بهذا التافه. انا اعرفك يا ليف. ان مارتن لا يناسبك، حتى ولو بعد مليون سنة.
- هل هذه ملاحظة دقيقة ام ان كبرياءك الجريحة تتكلم؟
سألت بازدراء، فيما رفع رايان رأسه وحدق في وجهها ثانية، وعيناه تلمعان بخطورة.
تجمدت ليف في مكانها مثل حيوان وديع بين يدي حيوان مفترس، وارتجف قلبها خوفاً عندما سمعته يقول:

ـ انني اتساءل، هل انت حقاً شجاعة مثل كلماتك يا سيدة دانيسون؟

ـ من السخف ان تنتقد مارتن. فهو رجل رزين ويمكن الاعتماد عليه.

تساءلت ليف عما اذا بدت له الكلمات فارغة مثلما بدت لأذنيها. قال رايان وبسمة ساخرة ترفع احدى زوايا فمه.

ـ بمعنى آخر، انه يتحلى بمزايا لا أثر لها عندي.

ثم اختفت الابتسامة من فمه وتابع:

ـ لكن اخبريني يا ليف، هل يبعث فيك الاثارة مثلما أفعل انا؟ اقصد، علينا فقط ان ننظر الى بعضنا البعض حتى تتحول نظراتنا لهيباً. هل يمكنك ان تنكري ذلك؟ هذا ما شعرنا به في الماضي، وهذا ما سنشعر به دائماً. واذا ما لمستك الآن، استطيع ان ارى الحقيقة في عينيك.

تراجعت ليف خطوة الى الوراء، فاختفت الابتسامة الساخرة عن فمه وقال:

ـ هل عقدت علاقة معه يوماً ما؟

احتقن وجه ليف ازاء الصدمة التي سببتها كلماته الوقحة وأجابت:

ـ كلا فأنا... لماذا...

بلعت ريقها ثم اضافت:

ـ ان كنت أقدمت على ذلك، فالامر لا يعنيك. وان اخترت الانضمام الى فريق كرة القدم، لن اطلب الاذن منك!

حالما لفظت تلك الكلمات، التي تركت في فمها طعماً مراً، شعرت ليف بالرعب وهي تراقب وجه رايان الشاحب. خطا خطوة نحوها وسأل غاضباً:

ـ ما الذي تريدينه يا ليف؟ توسلات عاطفية من اجل حب لم يمت؟ تعابير ساحرة تفرح قلبك الحزين؟ حسناً، ان ذلك ليس من

طبعي. فأنا رجل واقعي، لا أؤمن الا بالوقائع الفعلية. وربما هذا ما تريدينه أيضاً.

صرخت ليف بأعلى صوتها قائلة:

- آه! انت بارع في تحقيق هذا، أليس كذلك؟ ان هذا ما يهمك، الوقائع الفعلية. ان تأخذ ما تريد. حسناً، هناك ما هو أهم من الجانب المادي يا رايان. فالعلاقة تحتاج الى اكثر من ذلك لتبقى حية. وان كنت لا تفكر الا بذلك، فأنت على خطأ.

قال في انفعال:

- ان هذا ما افكر به، صدقيني. كلما كنت بجانبي، لا استطيع الا ان افكر بذلك.

اقترب رايان منها وضمها بقوة الى صدره.

ازاحت رأسها هرباً منه وهي تقول:

- اتركني يا رايان! انك تدفعني الى الجنون! ابتعد عني.

- وماذا تعتقدين انك فاعلة بي في كل دقيقة من اليوم؟ انك كالجرثومة يا ليف. كلما فكرت انني اقتلعتك من جسمي، تعودين الي ثانية.

تحركت يده عبر شعرها الحريري، وامسك برأسها وضمها اليه بشوق بالغ.

- يا الله، انت اكثر جمالاً، اكثر... ليف...

لم تؤثر به مقاومة ليف له. وما لبثت ان شعرت بنفسها تغرق هي أيضاً في بحر المشاعر المثيرة.

- رايان، ارجوك! كف عن ذلك الآن.

بذلت ليف جهداً لتسكت النيران التي أشعلها في داخلها، وأضافت تقول:

- قبل ان يصبح لدي المزيد من الاسباب لأكرهك!

ضحك رايان بخشونة وقال:

- هل تعلمين انني أول من يكره نفسي؟ لكنني لا استطيع

انقاذها.

نظر اليها بيأس وتابع:

ـ لن استطيع ذلك حتى لو هبطت السماء!

لكنها بقيت مسمرة في مكانها تحدق اليه، حيث سيطرت عليها النار المتوهجة المنبعثة من عينيه الزرقاوين.

١٠ ـ هل تعود معنا؟

تحركت ليف محاولة ان تتمطى وحين استفاقت، تحركت بصعوبة وارتفعت عيناها الى الرأس الأسود والتقت بعينيه الزرقاوين.

حدقا ببعضهما عدة دقائق، فاحمرت وجنتاها بعدما تدفقت في مخيلتها ذكرى الليلة الماضية. فما الذي حدث منذ ساعات قليلة ؟

انكمشت ليف امام ضعفها، ووبخت نفسها لأنها دعت ذلك يحدث. قفزت عن السرير وارتدت ثوب الحمام، ثم ربطت الحزام بشدة على خصرها.

ـ اعتقد انه من الأفضل ان تذهب يا رايان.

سأل رايان بجفاف:

ـ ماذا، أأذهب من دون تناول الفطور؟ حتى الرجل المتهم يحصل

على وجبة طعام.
- اريدك فقط ان تنهض وتخرج.
ارتفع صوت ليف اكثر، ثم تنفست بعمق وجذبت نفسها من الحافة التي كانت تشرف بها على الجنون.
قالت وهي تتحرك بعيداً عنه:
- لا اريد ان اراك ثانية!
- آه! لا تريدين ان تريني ثانية؟
كرر بصوت منخفض هادىء، بينما كان صوتها مرتفعاً، مضطرباً.
قال لها بوقاحة:
- الجاذبية بيننا شيء متبادل. كوني صادقة مع نفسك، ليف... انك تريدينني بالقدر الذي اريدك فيه. فلماذا تثورين؟ انت تنافقين كي تبرري تصرفاتك.
صرخت قائلة:
- كم انت كريه! اكراماً لله، اذهب.
وقف يتطلع اليها باحتقار قبل ان يقول ببطء:
- انت لم تعارضي في البقاء الى جانبي يا سيدة دانيسون!
- هل لك ان تخرس وان لا تتحدث عن الليلة الماضية؟ فأنا لا اريد سماع أي شيء عنها.
وضعت ليف يديها فوق اذنيها وهي تكبت رغبة شديدة للصراخ في وجهه.
لكنه ابتسم ببرود ساخر.
- ليس هناك شيء في العالم يستطيع منعي من تحقيق ما اريد اذا كنت اريد ذلك، لذا، كفي عن تصرفاتك السخيفة ولنتصرف كالراشدين الواعين.
ثم تركها تذهب، بينما كانت يده تعبث بشعره.
- تعتقد انك لا تقاوم، أليس كذلك يا رايان دانيسون العظيم؟

يجب أن يستجيب الجميع الى ما ترغب انت به.

ـ كلانا يريد نفس الشيء.

قال وهو يجذبها اليه كي يعانقها. وحين بدأت تلين قليلاً، تخلى عنها بابتسامة ماكرة. فارتفعت يدها وصفعت خده بكل قوتها، وتردد صوت الصفعة في ارجاء غرفة النوم.

تجمد فكه بتوتر، وبرز اثر يدها بوضوح على وجهه.

ـ يجب ان اجلدك. لكنني بدأت افكر انك لست اهلاً لأن اتحمل مشقة ذلك.

استدار على عقبيه واغلق باب الغرفة بقوة وراءه، مما جعل ادوات الزينة ترتج على المنضدة.

ـ يمكنك ان تجديني في المركب حين تعودين الى رشدك.

ـ عليك ان تنتظر طويلاً يا رايان.

ارتفع صوتها وهي تتبعه في الممر.

قال بصوت أجش وهو يفتح الباب:

ـ ربما كنت على صواب. فالوقت حان كي اضع هذا المكان ورائي الى الأبد... ولا تتوقعي مني ان اعود ثانية.

توقف كلاهما لدى رؤية التوأمين يقفان على الدرج وقد شحب وجهاهما بينما اسرعت ماريا الى الداخل لترى ما المشكلة. استطاعت ليف ان ترى من خلال عينيها المرتعبتين انهما سمعا صوتيهما العاليين.

ـ وداعاً يا طفلي.

هدأ صوت رايان قليلاً وهو يخطو امامهم بسرعة قبل ان يتمكن احدهم من الحراك.

أعادها بكاء ميلي الى الواقع. ثم وضعت الفتاة ذراعيها حول خصر امها وضمتها اليها بقوة.

قالت ماريا والاهتمام باد على وجهها:

ـ آسفة يا ليف. لقد خرجا من السيارة بسرعة قبل ان اعرف... قبل ان استطيع ايقافهما.

ـ ان هذا ليس خطاك. فأنا لم اشعر ان الوقت اصبح متأخراً.
احتضنت ليف ابنتها وتابعت:
ـ لا تبكي يا حبيبتي، ليس هناك ما يدعو للبكاء.
قالت ميلي وهي تجفف دموعها:
ـ لماذا كنتما تصرخان أنت ووالدي؟ كنا نعتقد انا ولوك انكما تحبان بعضكما واننا سنصبح عائلة حقيقية.
التفتت ماريا بعينين مليئتين بالعطف نحو ليف:
ـ انظري يا ميلي. يختلف الكبار احياناً حول بعض الأمور، فيناقشون تلك الأمور فيما بينهم، تماماً مثلما يحدث بينك وبين لوك.
قالت ميلي وهي تبكي:
ـ لكن يا امي كنت تبدين غاضبة جداً، كما انني لا اعتقد ان والدي سيعود.
قالت ليف مطمئنة:
ـ آه يا ميلي! ان حدوث مشادة بيني وبين والدك لا يعني انه غاضب منك ومن لوك.
قالت ميلي وهي تغص بالبكاء:
ـ لكننا لا نريده ان يكون غاضباً منك.
ـ هدئي روعك الآن وتوقفي عن البكاء. ما رأيكما ان تشكرا خالتكما ماريا لرعايتها لكما ليلة الأمس؟
قالتها ليف وهي تحاول ان تأتي نبرات صوتها مرحة.
ـ شكراً لك يا خالتي ماريا.
قال الاثنان، فيما بقيت ميلي متعلقة بأمها، ونظرات لوك التائهة تتركز على وجه امه.
قالت ليف بحيوية:
ـ اقدم لك شكري ايضاً يا ماريا. كانت امسية رائعة بالنسبة لرايان.
اجابت ماريا وهي تكاد تتعثر بكلماتها:

ـ هذا جميل. حسناً، سأعود اذا كنت متأكدة انك على ما يرام. ان لدى مايك عطلة قصيرة اليوم، وبهذه المناسبة، قررنا ان نهيء عشاء عائلياً خاصاً، كنوع من التغيير.

جلس التوأمان يتناولان طعام الفطور بهدوء. وضعت ليف الملعقة من يدها بعد ان اصبحت غير قادرة على تحمل ذلك الصمت المريب، ثم نظرت بثبات نحوهما.

ـ لوك، ميلي، آسفة لانكما سمعتما المشادة التي حصلت هذا الصباح بيني وبين والدكما. اريد منكما ان تحاولا الا تقلقا من ذلك. فانتما تعرفان ان والدكما وانا لم نر بعضنا منذ فترة طويلة جداً، ونحتاج الى فترة من الزمن قبل ان نعتاد على بعضنا. انتما تختلفان أيضاً في بعض الاحيان، ولا تتفقان حول أمور كثيرة.

نظر التوأمان بكآبة نحوها. وتابعت:

ـ لكن المشادة التي تحدث بيننا ليس لها اية علاقة بكما انتما الاثنين، ولا تغير من حقيقة اننا نحبكما كثيراً جداً.

وبصراحة سأل لوك:

ـ لكنكما لا تحبان بعضكما البعض، أليس كذلك؟

ـ ربما لا نحب بعضنا بطريقة ملائمة.

سألت ميلي مقطبة الجبين:

ـ اذن لن يأتي والدي كي يعيش معنا؟

ـ كيف يمكنه ان يأتي ويعيش معنا اذا كان سيغادر المنطقة؟

قال لوك لأخته وهو مقطب الجبين، فيما بدأت الدموع تنهمر على وجنتيها ثانية.

ثم اضاف متنهداً:

ـ اعتقد اننا سنبقى نحن الثلاثة كما كنا في السابق.

ـ اعتقد ذلك.

قالت ليف وهي تتمنى لو انها تستطيع السماح لدموعها ان تنهمر مثلما تفعل ميلي.

استيقظت ليف فجأة وهي تشعر بالارهاق الشديد بسبب الاستنزاف النفسي الذي حصل في الليلة الماضية. وفيما كانت في فناء البيت الخارجي، بحثت عن التوأمين، لكنها لم تجدهما. عندئذ، نادت مخترقة بصوتها الصمت المخيم على المكان، الا انها لم تسمع جواباً على ندائها من أحد.

ارتعدت مندهشة، وبدأت تتجول في الحديقة وهي تصرخ بصوت مرتفع:

ـ ميلي... لوك... !

بعد خمس دقائق، تأكدت ليف ان لا أثر لهما في داخل البيت أو في فنائه الخارجي. تحول نظرها الى مياه البحر الممتدة امامها، وكادت خفقات قلبها تتوقف هلعاً. لا! لا، فهما لا ينزلان الى الماء بمفردهما. وهذا شرط فرضته عليهما من دون اي تردد. لكن أين يمكنهما الذهاب؟ اخذت تحدق الى جانبي الخليج. لكن الشاطىء كان مقفراً.

ربما ذهبا لقيادة دراجتيهما. هرعت الى المرآب، فلم تجد الدراجتين هناك. لكن ارتياحها الوجيز تبعه ارتياب شديد. فهما لا يذهبان الى اي مكان من دون اعلامها. ربما لم يرغبا في ايقاظها.

بدأت عيناها تبحثان عنهما في الطريق، الا ان الطريق كانت خالية أيضاً.

اجبرت نفسها على الهدوء، وحاولت ان تحدد المكان الذي يمكن ان يقصداه. عائلة كوستيللو؟ ان هذا هو المكان المعقول. هرعت الى الداخل وادارت قرص الهاتف على رقم آل كوستيللو. لكن جرس الهاتف رن من دون ان يستجيب احد. بعد عشرين دقيقة، اصبحت ليف في اقصى حالات الاضطراب. فاتصلت بجميع اصدقائهما الذين تتذكرهم. ولكنها لم تحصل على أية نتيجة.

جوزيل. طبعاً! ربما ذهبا لرؤيته. ستلقنهما درساً قاسياً حين تمسك بهما. التقطت سماعة الهاتف واتصلت بمنزل آل دانيسون:

ـ توماس؟ أنا ليف، هل جويل موجود؟

ـ كلا يا سيدتي. ليس هناك أحد في المنزل. خرج السيد جويل بصحبة السيد دانيسون والسيد مالوري في نزهة حول المنطقة قبل ساعتين تقريباً.

انقبض قلب ليف ثانية:

ـ هل رأيت التوأمين؟

ـ كلا يا سيدتي. فهما لم يأتيا الى هنا.

ألقت ليف السماعة من يدها وهي تكاد تنهار كلياً. كيف تتصرف؟ من يستطيع . . . ؟ رايان. ستتصل به. ربما لم يغادر المنطقة بعد. انهمرت الدموع بغزارة على وجنتيها عندما ادارت قرص الهاتف متصلة بالمرفأ:

ـ جيم؟ انا ليف دانيسون. هل ما يزال مركب رايان راسياً في الخليج؟

ـ انه موجود هناك. لقد احضره رايان في الصباح الباكر.

قالت برجاء وأنفاس متقطعة:

ـ هل تعلم ما اذا كان رايان على متنه؟

ـ كان هناك منذ قليل. لكنه قدم الى الشاطىء بعد الغداء واتجه نحو ايرلي. هل تودين ان اخبره شيئاً حين ألقاه؟

ـ آه! لا يا جيم. ليس هناك شيء مهم.

غطت ليف وجهها بكفيها. عليها ان تفعل شيئاً. يجب ان تصعد الى سيارتها وتنطلق للبحث عنهما.

كان خيالها يرسم صوراً مختلفة عما يمكن ان يحدث لهما. فاسرعت تركض خارج الباب الأمامي وكأن لها أجنحة. وحين رأت رايان يترجل من سيارته، فقدت ليف السيطرة على نفسها، فطارت وحطت بين ذراعيه.وهي تكاد تشرف على الجنون.

قال وهو يهزها بعنف:

ـ اهدئي يا ليف! اهدئي واخبريني ما الذي حدث.

قالت بشفتين مرتعشتين:

- لم أجد التوأمين. لقد ذهبا. اتصلت بجميع اصدقائهما، لكن لم يرهما أحد. آه يا رايان، الى أين يمكن ان يذهبا؟

- تماسكي الآن. تعالي الى الداخل لنعمل من هناك.

أعاد هدوءه اليها بعض الاتزان.

- ألم يرهما مايك وماريا؟

هزت رأسها نفياً:

- اتصلت بهما في البدء، لكنهما لم يكونا موجودين في المنزل.

- ما هو رقم هاتفهما؟ سأحاول الاتصال بهما ثانية.

لم يكن هناك من مجيب. اعاد رايان السماعة الى مكانها. وما كاد يفعل ذلك حتى رن جرس الهاتف باصرار. فقفزت ليف على قدميها بوجه شاحب.

- هنا رايان دانيسون.

- جيم فيرغسون من المرفأ. يسرني ان اجدك هنا يا رايان. اخبرني احد الاولاد انه رأى طفلين في مركبك منذ دقائق قليلة. كما انني وجدت دراجتين خلف غرفتي، وهما تخصان التوأمين. فشعرت ان من واجبي ان التحقق مما اذا كان لديكم علم بذلك.

- شكراً لاتصالك بنا يا جيم. سنأتي حالاً. انتبه للمركب جيداً، اذا سمحت، الى ان نصل.

- بالتأكيد يا رايان.

- هل وجدهما؟ هل هما بخير؟

- هما في المركب.

- في المركب؟ آه يا رايان!

شهقت ليف، بينما ربت رايان على كتفها فتابعت:

- وهل هما بمفردهما؟

- يبدو ذلك. هل تودين الذهاب معي؟

ارخى يده وتركها تقف بمفردها:

ـ نعم، نعم، انا بخير ويمكنني الذهاب.
ـ حسناً، لنذهب.

لم يكن هناك اي اثر للحياة على المركب. الا ان جيم أكد لهما ان لا احد غادر المركب منذ ان اتصل بهما. ساعد رايان ليف في القفز الى المركب، ثم تطلع الى متن المركب وهو ينادي:

ـ لوك؟ ميلي؟

لم يجبه احد. فتسرب الخوف والرعب الى قلب ليف من جديد.

ـ سأنظر في الداخل.

هبط رايان الى الغرفة الرئيسية، تتبعه ليف.

ـ انتظري هنا.

ثم بحث في الغرفة الأمامية وعاد يهز راسه وهو يمر بها ويتجه الى القسم الخلفي. طال غيابه اكثر هذه المرة. وما لبث ان عاد وهو يمسك التوأمين بذراعيهما بقسوة.

ركعت ليف واحتضنت ولديها:

ـ حمداً لله! لوك، ميلي... كدت افقد صوابي قلقاً عليكما!

تدفقت دموع الفرح على وجهها. فانفجر الطفلان بالبكاء اليائس.

قالت ميلي وهي تنتحب:

ـ انتابنا الخوف الشديد. كنا نظن ان والدنا سيعود، لكنه لم يفعل. فاختبأنا في الداخل.

سأل رايان لوك بلطف حازم:

ـ لماذا لم تقولا لوالدتكما انكما آتيان يا لوك؟

قال لوك بصوت متهدج، ناظراً بخجل الى الارض:

ـ كانت أمي مستغرقة في النوم. كنا نفكر اننا اذا هربنا واختبأنا في مركبك، وحين تبحر وتجدنا، سيتوجب عليك العودة بنا الى أمي. وبعد ذلك لا تتركنا وتسافر.

انقطع صوت لوك، فأحاطه رايان بذراعيه، حتى توقف عن

البكاء ثم قال لأمه:

- لم نقصد ان نسبب لك الذعر والخوف يا أمي.

اتجه رايان نحو الحمام واحضر منشفة وهو يقول مداعباً:

- هل تكفي هذه المنشفة لتجفيف دموعكما؟

اطلقت ميلي ضحكة قصيرة نابعة من صميم قلبها حين يدأ والدها يمسح وجهها، ومن ثم وجه لوك.

- ما قولكما في تجفيف دموع أمكما؟

سأل ثم وضع يداً خلف رأس ليف ومسح باليد الاخرى عينيها برقة، تاركاً المنشفة الناعمة تنزلق على خدها الرطب.

لما التقت عيناهما، خفق قلب ليف بسرعة. بينما جذب رايان رأسها الى كتفه وعانقها عناقاً طويلاً قبل ان يتراجع.

قال مخاطباً التوأمين:

- أراهن انكما تشعران بالجوع. فهل نتناول طعامنا هنا أو في البيت؟

- اذا عدنا الى البيت، هل تعود معنا؟

سألت ميلي، فيما لم ينطق رايان أو ليف بأية كلمة.

سأل لوك أيضاً:

- ألا تعود معنا؟

تطلع رايان الى ليف والاضطراب يملأ عينيه الزرقاوين، وسألها بصوت أجش وبنبرة لم تسمعها منه قبلاً:

- هل أعود يا ليف؟

- نحن نرغب في عودتك.

قالت ليف اخيراً، وكأن عبئاً ثقيلاً ازيح عن صدرها. وتوقفت مرارة سنوات الفراق في تلك اللحظة.

لم يمض بعض الوقت حتى كان التوأمان في سريرهما.

وحين اصبحا على انفراد، انقبض قلب ليف هلعاً. حيث كان هناك الكثير من الكلام بينهما، والوقت حان كي تبدأ بالحديث.

نظرت اليه عبر اهدابها لتجده محدقاً بها. ثم قالت محاولة اخفاء ارتباكها:
ـ لم يتسن لي ان اسألك لماذا عدت بعد ظهر اليوم؟
ابتسم رايان واجاب:
ـ الاعتذار الذي كنت انوي تقديمه تلاشى من تفكيري لحظة أتيت الي، واحسست انني امتلك الدنيا كلها آنذاك.
ضحكت ليف وقالت:
ـ رايان، كن جاداً.
ـ آه، أؤكد لك انني جاد. لم اكن اكثر جدية في حياتي مما أنا عليه الآن.
سار عبر الغرفة ووقف امامها. ناولته فنجان القهوة وقلبها يخفق بشدة. وضع فنجانه جانباً وجذبها نحوه وقال:
ـ كل شيء تافه حولي، ولا معنى لحياتي من دونك.
قال ببساطة ثم انحنى ونظر الى عينيها وهو يبتسم نادماً واردف:
ـ في الليلة الماضية، صدرت مني كلمات بذيئة غير متوازنة... حسناً، اشعر الآن بالسأم الشديد من الحياة العابثة... اعذريني، فأنا لا أجيد اختيار الكلمات المناسبة. وكل ما أريد قوله انني احبك، وانني احببتك في الماضي وسأبقى احبك دائماً.
ـ آه يا رايان! انا احبك أيضاً.
تدفقت الدموع من مآقيها، فيما امتدت ذراعاها نحوه بحركة لا شعورية.
وقفا متعانقين بعض الوقت، قبل ان يخرجا الى الفناء الخارجي حيث جلسا على كرسي مريح. تنهد بارتباك وتمتم قائلاً:
ـ سقيتني المرارة يا سيدة دانيسون. آمل ان تكوني خجلة من نفسك.
وبختته ليف بلطف قائلة:
ـ أنا من سقيتك المرارة؟ انت أوثقتني بحبل منذ كنت في السادسة

من عمري.

ضحك وقال:

- لكنك اخفيت هذه الحقيقة جهداً خلال الأسابيع القليلة الماضية. لم أشعر انك ما زلت تحبينني الا حينما أضمك الى صدري.

انتظر قليلاً، ثم ضمها الى صدره ليعيد تلك التجربة. وحين ابتعدا عن بعضهما، قالت ليف ضاحكة وهي ترتعش:

- وهل كنت شفافة الى هذا الحد؟

قال بانفعال:

- لم تكوني شفافة مطلقاً. كدت أموت غيظاً واحترق غيرة عندما كنت تنظرين الى مارتن.

تفحصت عيناه وجهها وقال:

- لكن الآن استطيع ان اشعر بالاطمئنان، الا استطيع ذلك؟

اومأت ليف برأسها ايجاباً، ثم امسك بها بقوة وقال بهدوء:

- أتيت بعد ظهر اليوم كي أطلب منك الرحيل معي حين أغادر البلاد، اذا كنت تودين مغادرة المكان حيث توجد ذكريات تعيسة. فبعد تلك الليلة، أنا...

أخذ نفساً عميقاً وتابع حديثه:

- أمضيت اليوم التالي وأنا أنعت نفسي بشتى الصفات السيئة. اتهمت نفسي بالطيش والأنانية. ليف، لا استطيع الابتعاد عنك وعن التوأمين ابداً. كنت سيئاً في البداية، لكن الآن يستحيل علي الرحيل وحيداً. بعد ظهر اليوم كنت أنوي ان اطلب منك البقاء الى جانبك.

ثم صمت يتذكر حزنه وألمه. فقالت:

- لم يكن عليك ان تفعل ذلك. رايان، كنت يائسة جداً حين رحلت. اعتقد ان السنوات التي مرت جعلت طبيعتي تزداد عنفاً. بعد ذلك عدت من دون سابق انذار، فانقلبت حياتي رأساً على عقب. تأكدت انني ما زلت احبك مثلما كنت دائماً، وكنت اخشى ان اتألم ثانية. ولم اكن اريد تجربة الاشهر الاولى من رحيلك مرة اخرى.

اغمض رايان عينيه وقال:

ـ لو تعلمين فقط كم تمنيت ان تذهبي معي! تركتك فور زواجنا لأنني ادركت انني لن اقوى على الرحيل اذا ما رأيتك ثانية... هذه هي الحقيقة.

ـ لكن لماذا لم تأخذني معك؟ أتعلم انني كدت أصاب بالجنون بعيداً عنك؟

ـ ظننت انك صغيرة جداً، وأنك ما زلت مراهقة ولن تستطيعي العيش معي. كرهت نفسي لأنني فقدت السيطرة عليها، فتسببت لك بالاهانة في تلك الليلة. ولم يكن من الصعب على والدي ان يقنعني بأنني غير مسؤول عما حدث بيننا، وانه من الأفضل ان ارحل لالتقاط خيوط حياتي بعيداً عنك. انني صدقت أقواله حينذاك.

ـ آه يا رايان، تمنيت لو ان احداً سألني ما الذي اريده. الى أين ذهبت؟ لم يذكر لي احد شيئاً عنك.

ـ ذهبت الى كل مكان. لم اكن متوازناً في البداية، بل كنت متهوراً اذ صدقت الصفات التي وصفني بها والدي، وبالتالي تصرفت طبقاً لذلك. أمضيت سنتين من العبث والطيش. لجأت الى شتى أنواع اللهو كي أنساك. وكان ذلك مستحيلاً. شعرت بك تسرين في دمي وفي كل نفس أتنشقه.

تحركت يده بلطف على ذراعها، ثم تابع:

ـ انزلقت اموالي من بين اصابعي، الى ان حالفني الحظ فجأة. اذ كسبت كمية كبيرة من المال. لا ادري كيف استطعت ان افوز واكسب في ذلك النهار. وبينما كنت في طريقي الى الفندق، حاول أحدهم النيل مني، هنا التقيت كيم سوكونا. كان يمر صدفة مع روكو، فهرع لمساعدتي. فأنقذني من الموت.

ارتعبت ليف وقالت:

ـ وهل أصبت بأذى؟

قال وهو يحط من قدر نفسه:

ـ لم يصبني الا ما استحقه. أمضيت بعض الوقت مع كيم، ومن ثم قررت العودة الى بلادي.
تطلعت ليف نحوه بدهشة وقالت:
ـ وهل عدت الى هنا؟ لكن... لكن لم يخبرني أحد. انك لم تعد من أجل ان تراني.
قال محدداً:
ـ انت سبب عودتي. جئت كي آخذك معي لتشاركيني المنفى.
ضحك بمرح وهز رأسه متابعاً:
ـ لكن لحسن الحظ، أول من التقيت به فور وصولي من المطار كان جويل. وأول صدمة تلقيتها حين قرأت الذعر في عينيه. كنت في حالة مريعة... مرتدياً بذلة متسخة، مشعث الشعر، غير حليق الذقن.
قاطعته ليف:
ـ كان يجب ان يخبرني جويل.
لكن رايان وضع اصبعه على شفتيها.
ـ كلا يا ليف. لم يكن عليه ان يفعل ذلك. فانت لا تعلمين سوء حالتي آنذاك. تحدثنا، ووبخني بعنف مما جعل والدي فخوراً به. اوقفني ومنعني من المجيء اليك متذرعاً بأسباب منطقية. وفي احدى المراحل، هدد بأن يوثقني ويرمي بي الى المرفأ اذا ما حاولت الاقتراب منك.
هزت ليف برأسها وقالت:
ـ اكاد لا اصدق ذلك لأن جويل لا يخفي عني شيئاً. اعتقد ان جويل هو من أخبرك بوجود التوأمين.
بدا رايان مرتبكاً قليلاً:
ـ هل تذكرين ظهر ذلك اليوم الذي تركت فيه التوأمين مع جويل كي تزوري ماريا في المستشفى حين كانت تجري عملية جراحية لاستئصال الزائدة؟

هزت ليف رأسها ايجاباً. فتابع:
ـ استدعاني جويل وعرفني بالتوأمين شخصياً. أصابني الذهول، ان ما عذبني فيما بعد هو لقائي بهما. وحين راقبتك تصلين وتغادرين المنزل، شعرت انني تركت قلبي معك.
توقف رايان ثم عاد وتابع حديثه:
ـ انهما طفلان رائعان يا ليف.
ضحكت ليف وهي ترتعش:
ـ اعرف ذلك. هل تعتقد اننا نستطيع ان نعيش مع ثلاثة أولاد في المرحلة القادمة؟
ضحك رايان وأجاب:
ـ هذا اقتراح جيد يا سيدة دانيسون.
ـ وهو كذلك يا سيد دانيسون.
ـ آه يا ليف، اذا نظرت الي هكذا، لن استطيع ان اقول لك ما يجب قوله.
ثم شدها اليه قبل ان يتابع كلامه:
ـ اكتفيت من رؤية التوأمين أخيراً. كنت أعلم ان علي الرحيل وعدم العودة الا بعدما أكوّن نفسي. كنت كالسجين تماماً (لمس وجهها باصبعه بنعومة) فهل تغفرين لي لأنني تسببت لك في كل هذا الشقاء؟ ولأنني رحلت وتركتك تواجهين اعباء الحياة بمفردك؟
قاطعته ليف عندما رأت الألم بادياً في عينيه:
ـ كل ما أريده في الحياة هو البقاء الى جانبك، ومن حسن الحظ ان الله عوضني حينما رزقني التوأمين.
ـ اخبرني جويل كم كنت متألمة حين رحلت، فلم أرضَ ان اثير حزنك مرة ثانية، فغادرت فجأة مثلما وصلت. ومنذ تلك اللحظة، وعدت نفسي وعداً قاطعاً: تذكرت جزيرة كرافن، وتذكرت احلامي القديمة فيها، فعملت جاهداً لتحقيق هذا الحلم في السنوات الست الماضية. ومع ذلك، ما زلت اشعر انني تأخرت كثيراً...

انهى حديثه بهدوء. قالت ليف:

ـ كنت حزينة للغاية عندما ظننت انك اشتريت جزيرة كرافن بهدف اغاظة والدك، وتخيلت انك تريدنا ثانية لانجاز الصفقة مع السيدة كرافن.

تنهدت ليف وأضافت:

ـ كنت خائفة جداً من ان اترك نفسي تثق بك، وتحوّل خوفي الى غضب. كنت... كنت اريدك ان تعاني بعض العذاب الذي عانيته اثناء غيابك، معتقدة انك ما زلت متهوراً وغير مبال، وهذا ما منعني من القيام بما كنت ارغب فيه.

ـ وبماذا كنت ترغبين؟

ولعبت ابتسامة صغيرة حول زوايا فمه.

ـ ان اكون معك.

ضحك قائلاً:

ـ يا للصدفة. كنت اسعى ايضاً الى نفس الشيء.

عانقها بحنان بالغ وسأل:

ـ هل تذكرين تلك البقعة الخضراء فوق التلة التي اشتريتها من السيدة كرافن؟ هل تودين العيش عليها؟ تمنيت لو اننا نستطيع هندسة وبناء منزلنا معاً هناك. ما رأيك في ذلك؟

قالت بصدق:

ـ رأيي ان ابقى الى جانبك أينما كنت.

ـ هذه الكلمات كالموسيقى يا حبيبتي.

التعبير العاطفي في عينيه أزال المرح من كلماته. فرفع يدها قائلاً:

ـ الآن حصلت عليك يا ليف، ولن أدعك تبتعدين عني ثانية.

تنهد رايان بعمق وسألها بعينين متوهجتين:

ـ هل ستطردينني الليلة ايضاً؟ أعني هل تعتقدين ان ميلي ستثور غضباً اذا ما وجدتني معك في الصباح؟

اجابت ليف والابتسامة تتراقص على فمها:
- يوجد سرير في مرسمي، يمكنك ان تنام عليه.
قال رايان مداعباً:
- انت امرأة صعبة المنال يا ليف دانيسون!

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

زوجة الهندى
السر الدفين
طال انتظاري
الوجه الآخر للذئب
برج الرياح
الماضي لايعود
لقاء الغرباء
وردة قايين
عصفور فى اليد
الغيمة أصلها ماء
الهوى يقرع مرة
خيط الرماد
الصقر واليمامة
حتى تموت الشفاه
أصابع القمر
وعاد فى المساء
القرار الصعب
الفريسة
أريد سجنك
خطوات نحو اللهب
دمية وراء القضبان

عذراء فى المدينة
الامواج تحترق
العروس الاسيرة
رجل بلا قلب
سيدة القصر الجنوبى
شهر عسل مر
عيناك بصري
من أجل حفنة جنيهات
رجل من نار
نداء الدم
ليالي الفجر
ما أقصر الوقت
قلب فى المحيط
المجهول الجميل
الزواج الابيض
أقدام فى الوحل
قال الزهر آه
كيف أحيا معك
غضب العاشق
مزرعة الدموع
الواحة

آخر الأحلام
هل تخطىء الانامل
البحر الى الأبد
الحصار الفضي
الشبيه
الكذبة
الندم
انت لي
جراح باردة
طائر بلا جناح
عاطفة من ورق
قطار فى الضباب
قل كلمة واحدة
مندلا
تعالى
السعادة فى قفص
هاربة
هذيان
أرياف العذاب
اللهب والفراشة
لا ترحلي

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

الضائعون
صرخة البرارى
دليلي
دخان
الثأر
وفازت
خذ الحب واذهب
اللؤلؤة
لا تقولى لا
المجهول
بين السكون والعاصفة
رمال فى الأصابع
الشريدة
شاطىء العناق
ذهبى الشعر
تعالى إلى الأدغال
الفخ
فى قبضة الأقدار
دليلة
القيد
الماس اذا التهب

الحمقاء الصغيرة
حائرة
نهر الذكريات
نبع الحنان
اليخت
إثنان على الطريق
سيد الرعاة
غفرت لك
عنيد
صعب المنال
أين المفر
القرصان
اللمسات الحالمة
لحظات الجمر
النجمة والجليد
توأم التنين
البحار الساخر
جرح الغزالة
لمن ترف الجفون
الشمس والظلال
أنين الساقية
شريك العمر

سمعا وطاعة
أيام معها
صحراء الثلج
الأغنية المتوحشة
بانتظار الكلام
يدان ترتجفان
ممر الشوق
المفاجأة المذهلة
أسوار وأسرار
الإرث الآسر
عروس السراب
الحد الفاصل
الحصن المرصود
كالسحر
تناديه سيدي
أعدني إلى أحلامي
المنبوذة
الخطاف
الوعد المكسور
السجينة
الخلاص
هديتي

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

أرجوحة المصير
الراية البيضاء
العذاب إذا ابتسم
الرجل الفراشة
أنشودة البحيرة
النصف الآخر
دورها في اللعبة
حورية التلال
سيدة نفسها
دون أن تدرى
ضحية
صخرة الأمنيات
عقد الأصداف
عد فقيراً مثلى
لا تعتذرى أبداً
قبل أن ترحل

لو لم تسافر
لقاء واحد يكفى
مصارع الثيران
مازلنا غرباء
نصف الحقيقة
منارة في الأنواء
وحدهما فقط
أطياف بلا وجوه
البحث عن وهم
الوادى السرى
بحر العتاب
بين الحلم والواقع
عروس إبليس
فصول النار
قيد الوفاء
لا أحد سواك

❀ هذه الروايات هي جواز سفرك إلى عالم الخيال والعاطفة، إنها أيضًا بطاقة للإبحار في زورق الحلم خارج ليل الوحدة

❀ تأخذك هذه الروايات إلى حيث تشعّ منارة اللقاء، ويربح الحبّ كلّ جولة مع السّعادة

❀ في روايات عبير أصابع الحنان تغيّر مجرى الأيام نحو ربيع المشاعر

❀ إنّها دنيا الحب، تجمّعت في سطور...

مِنَ القَلبِ ... إلى القَلبِ

